اللغات خاصة

دونالد ليكوك وبيتر موهليسلر

Donald C. Laycock and Peter Muhlhausler

١. مقدمة

قورنت اللغة في مواضع كثيرة متفرقة إما مع الأعضاء الجسدية كالأرجل أو الأيدي، أو بالأدوات التي صنعها الإنسان كالفؤوس والمطرقات. ويتصل بوجهة النظر القائلة بأن اللغة عضوٌ عقلي وجهة نظر أخرى تقول بأنها تلبي بشكلٍ لا نظير له متطلبات التواصل البشري ولذلك من الأفضل أن تترك لوحدها: وإن لم يكن هناك تدخل بشري، فإنها ستتكيف مع الغرض التواصلي الذي وجدت من أجله. ولكن إذا ما اعتبرت اللغة وسيلة فهناك متسع وافر لإمكانية عدم الانسجام بين اللغة والعالم أو متطلباته التواصلية، على أية حال. ويشكل هذا تبريراً لتدخل بشري مباشر لجعلها أداة أو وسيلة أكثر ملاءمة .

ومع تغير الاستعارات اللغوية عن اللغة ، تتغير ،في الواقع، وجهات نظرها حول مشروعية هندسة اللغة وإمكانيتها. إن ما كان يعتقد بأنه غير ممكن ولا ينصح به في البنيوية الأمريكية، على سبيل المثال، قد بدا عملاً مشروعاً لأولئك الذين يعملون بالمنهج التطوري الذي بدأه بيلي Bailey في نهاية السبعينيات .

يتمثل هدفنا هنا بشقين :نرغب في الأول مناقشة القيود النظرية التي يجب على كافة أنواع التدخل البشري باللغة أن تحدث ضمنها ؛ بينما سنقوم في الثاني بتحليل عدد من أنماط مختلفة من ذلك التدخل ونستكشف جذورها التاريخية. وللقيام بذلك، اخترنا أن نجمع بصائر حديثة من الطبيعة اللغوية مع مزيد من المصطلحات التقليدية .

لم يكن هناك تفريق بين المعايير "الطبيعية" و "الاصطناعية" بشكلٍ صحيحٍ دائماً في المناقشات السابقة. وبشكل خاص ، يمكن للمرء أن يلاحظ ميلاً لتسمية أيّ حل يشتق مادةً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معجميةً أو قواعديةً من نظامٍ لغوي موجود بالحل الطبيعي. ولهذا السبب، فإننا سنستفيد من التمييز المستخدم على نطاق واسع بين اللغات "*البدائية/الأولية*" واللغات "*اللاحقة*". فاللغات *البدائية* /الأولية هي لغات مركبة من لاشيء تقريباً، حيث تُختار جذورها وفق اعتبارات نظرية فلسفية بدلاً من تطويعها من لغات إنسانية حقيقية. أما اللغات *اللاحقة*، من الناحية الأخرى، فهي، في صيغتها المثلى، تبسيطات أو تطويعات من لغة موجودة أو أكثر. وهناك عدد من اللغات المصطنعة، مثل لغة شيلر فولابوك Schleyer Volapuk أو المقترحات التي قام بها كومينوس Comenius، من نمط مشترك أو مختلط.

جذبت الأنظمة *البدائية/الأولية* العلماء لأنهم اعتقدوا أنها تعرض إمكانية لترميز اللغة –أي المنطق العالمي المستقل. أما في واقع الأمر، وفي غياب مثل ذلك المنطق، فإنها تميل للاعتماد بدقة، في سماتها الدلالية، على اللغات الأوروبية التي يتكلمها مبتكروها، وبالتالي تنقلب إلى لغات لاحقة متنكرة. وليس من الواضح لنا إن كان أمر ابتكار لغة *بدائية/أولية* مستقلة لغوياً تماماً أمراً ممكناً من حيث المبدأ. أما جاذبية اللغات *اللاحقة* فقد تمثلت في أغلب الأحيان في "طبيعيتها". وفي الواقع، تم اشتقاق العدد الأكبر من اللغات الخاصة من عددٍ صغيرٍ من اللغات الأوروبية القياسية العادية (SAE) (من الرومانسية أساساً) ومن هنا فهي تعكس دلالات موسومة - ثقافياً لعددٍ صغيرٍ فقط من سكان العالم. وبهذا الصدد، تعتبر المقترحات التي قدمها فام زوان ثاي Pham Xuan Thai تحت عنوان ،"الأخ" "Frater"، وهي لغة لاحقة تعتمد على اللاتينية، واليونانية، والصينية، واليابانية و"مجموعات لغوية أخرى" لا - أريّة استثناءً مهماً.

٢. اعتبارات نظرية: السمات الشكلية

في حين أنه يمكن ،من حيث المبدأ، أن نضيف أو نطرح أو نغّير أي بنية لغوية موجودة من خلال عدد غير محدد من الوسائل تقريباً / أو أن نستنبط لغة جديدة تماماً من لا شيء، إلا أن هناك قيوداً صارمة عملياً يجب مراعاتها إن كان على الناتج أن يمثل نظام تواصل يستطيع البشر التعامل معه. وتنشأ قيود أخرى إضافية إذا تمثل الطلب في ابتكار لغة يمكن أن يكتسبها الأطفال ؛وهناك قيود أخرى أيضاً إن كان على الطلب أن يسمح للكبار تعلمه بدون تعليم رسمي. وهناك قيود من نوع آخر تماماً تطرح على بساط البحث عندما يكون التخاطب بين أجناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مختلفة أو مع سكان عوالم خيالية أو حقيقية أخرى. وأكثر من ذلك، هناك قيود أخرى يجب مناقشتها عندما يجب استخدام اللغات بواسطة الآلات ومعها.

دعنا نستكشف في البداية مفهوم "اللغة الإنسانية الممكنة". لقد وصفت إما ضمن مجموعة من المبادىء المجردة، كما في كتابات تشومسكي الأكثر حداثة، أو بشكلٍ آخر ضمن شروط أنماط استتباعية أكثر سطحية تضع أسس إمكانيات محدودة لتركيب/لتجميع السمات السطحية للغة مثل النسق اللفظي، وترميز صيغ التعدّية أو تشكيل عبارات صلة الوصل. ويلاحظ المصنِّفون الذين تمثلهم مدرسة غرينبيرغ وكومري أن هناك مجموعة فرعية صغيرة فقط من بين سمات التجميعات الممكنة رياضياً موجودة في اللغات الحقيقية. وعلى الرغم من أن هدفهم النهائي المتمثل في اكتشاف تلك السمات التصنيفية التي يعتمد عليها العدد الأكبر من السمات الأخرى قد تحقق جزئياً فقط، إلا أن وجود مثل هذه الدراسات يخبرنا الشيء الكثير عن الخيارات المحددة جداً للغات الإنسانية في ترميز مفاهيم معينة.

ينطوي الاشتقاق من الدراسات التصنيفية على دراسة تغّير اللغة، واكتسابها، والتهجين والخلط اللغويين بالإضافة إلى مفهوم "الطبيعية اللغوية"، وذلك مفهوم تدرجي يتراوح من الأكثر طبيعية إلى الأكثر شذوذاً. وأُحتفظ بمصطلح "غير طبيعي" للدلالة على ظواهر لا يمكن إصدارها عن طريق أعضاء النطق البشرية ولا معالجتها عن طريق الملكات العقلية الإنسانية أيضاً. وتضم الأمثلة عن الظواهر غير - الطبيعية صوتاً لا يمكن إصداره إلا إذا وسعت الشفتان بألواح خشبية والصوت الناتج عن تأثير سقوط سن أو أكثر من الأسنان الأمامية. وكما هو متوقع من اللغات الإنسانية - على أيةِ حال، إذ يمكنها أن تقوم بوظيفتها بالتواصل مع النشاطات الإنسانية الأخرى، فإن المزاعم القائلة بأن اللغات قد تأثرت بشكلٍ كبيرٍ على سبيل المثال، بمضغ علكة جوزة الأريقة (كما قيل عن لغة سانتا كروز في جزر سليمان) أو بصك الأسنان الزائد من شدة البرد (الأسكيمو)، أو من الحرارة المفرطة (في اللغات الأفريقية وجزر الباسفيك) ما هي إلا مجرد هراء لا طائل منه. إن اللغات المستنبطة للاتصالات الكونية خارج الأرض ولغات الحاسوب هي أيضاً غير - طبيعية بهذا المعنى التقني.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعتبرت "الطبيعية" سمة من سمات اللغة البشرية عامة - رغم اختلاف الدرجة التي تقترب فيها اللغات من النهاية الأكثر طبيعية من الطيف. فوفق بيكرتن (1981-1984) Bickerton، على سبيل المثال، اعتبرت اللغات المزيجة أنها الأكثر طبيعية، في حين وضعت اللغات الثقافية القديمة كالفرنسية أو الإنجليزية في الطرف الثاني من الطيف. ومهما تكن درجة الطبيعية في أي لغة بمفردها، فإن الملاحظات التالية تنطبق على اللغات كافة:

١. ينطوي وجود فئة أقل طبيعية على وجود فئة أكثر طبيعية: يضم النظام الثلاثي، على سبيل المثال، نظاماً ثنائياً الذي يتضمن بدوره صيغة الجمع (في الأسماء على الأقل). أما العكس فليس ممكناً على أيةِ حال.

٢تكتسب الفئات الأكثر طبيعية قبل الأقل طبيعية: حيث تكتسب [p] في نهاية الكلمة قبل [b]، وكذلك [t] قبل [θ] في كافة المواقع.

٣. إن الاحتفاظ بالفئات الأقل طبيعية يتطلب مزيداً من العناية والتعليم الرسمي أكثر من تلك التي يحتاجها الحفاظ على الفئات الأكثر طبيعية.

واتضح أن مسألة وصف الطبيعية اللغوية مسألة صعبة لوجود مطلبين أساسين في اللغة: الأول، يجب إصدارها ،والثاني، يجب فهمها. وما لم يتعامل المرء مع لغة مختصرة للغاية على سبيل المثال، لغة مؤلفة فقط من الأشكال [mama] , [pupu] و [dodo]، فمن المحتم أن يكون هناك تعارض بين أفضل الإنتاج (الطبيعية الفونولوجية) وأفضل الإدراك (الطبيعية الصرفية). وبشكلٍ عامٍ، ما هو أسهل على الإنتاج يكون أصعب على التمييز و بالعكس. وقد يسبب المطلب المتمثل في أن يكون هناك شكل واحد بمعنى واحد فقط درجة عالية من غير - الطبيعية في الإنتاج. فعلى سبيل المثال، لو عُبر عن المفهوم الإنجليزي "أكثر من واحد" بشكلٍ ثابت باستخدام [s] فإن صيغ جمع rat و dog و rose ستكون طبيعية نوعاً ما في [rats]، وغير قابلة للفظ تقريباً في[dogs] و [ro.uzs]. و هناك استتباعات أخرى لمطلب الشكل الواحد = المعنى الواحد بالنسبة للإدراك ؛ حيث ستفضل اللغات التي تحتل رتبة عالية في سلم الطبيعية الصرفية التجميع أو الدمج بشكلٍ تتألف فيه العديد من الكلمات من عدة أجزاء صغيرة ، كل منها بمعناه الثابت. ويستبعد الدمج الانصهار والعمليات الفونولوجية الطبيعية الأخرى كما هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معروف تماماً للعاملين بالتصنيف اللغوي. ونادراً ما لجأ مهندسو اللغة إلى مثل تلك الأسس بطريقةٍ واعيةٍ. بل عوضاً عن ذلك، بدأوا وكأنهم اختاروا، في معظم الأحيان، بشكلٍ لا شعوري ،استراتيجيات تفضي إلى أفضل الطبيعية الصرفية (وتمثل الاسبرنتو Esperanto، وهي لغة لاحقة مثالاً جيداً). وهذا أمر يمكن الدفاع عنه إن كانت اللغات تُستخدم بين متكلمين كبار يتكلمون لغة ثانية. ومن الناحية الأخرى، يحتاج الصغار إلى قدرٍ كبيرٍ من الطبيعية الفونولوجية أيضاً ويغيرون اللغات باتجاه الأسهل لفظاً.

ففي حين كان فهم الطبيعية اللغوية بين مهندسي اللغة محدوداً للغاية، فإن مفاهيم البساطة والتبسيط قد لعبت دوراً أكثر أهمية بكثير، حيث يشير الأول إلى النتاج النهائي، والآخر إلى العملية التي تؤدي إليه. وفي المستوى الأكثر عمومية، تتعلق البساطة بمطلب التعبير عن العدد الأكبر من الفروقات بالعدد الأقل من الوسائل اللغوية. أما من الناحية العملية، فإن أي فعل هندسي يزيد من تغطية القوانين القواعدية، ويستغني عن القيود السياقية في تطبيقه للقواعد أو يطرح جانبا القواعد المتنافسة التي تؤدي الغرض نفسه ، يساهم في البساطة العامة للنظام الناتج. ويعني ذلك ،قبل أي شيء، استبدال شذوذ المفردات المعجمية، ما كان ذلك ممكناً، بصيغ قواعدية منتظمة.

إن البساطة التقنية ميزة إيجابية عظيمة للغات الآلية وفي بعض مجالات اللغة الإنسانية، مثل المصطلحات العلمية. إن مهارات المعالجة الإنسانية، وقيود الوقت وبعض عوامل "الأداء" الإنسانية تفرض قيوداً صارمة للغاية على البساطة في اللغات التي يستخدمها الإنسان. وبناءً على ذلك، ففي حين يمكن للحاسوب أن يتعامل مع تقليد أو معادلة تعبر عن الرقم١٧ على النحو التالي: ٢+٢+٢+٢+٢+٢+٢+٢+١، فإن الإنسان لا يستطيع ذلك. وبدلاً عن ذلك، فإننا نحتاج لمزيد من جذور العدد. يبدو أنه ليس لدى اللغات البشرية سوى زاوية ضعيفة للغاية لتحويل الحدود بين المعجم والقواعد، إلا أننا غالباً ما نجد هذا المبدأ منتهكاً، في اللغات *الأولية / البدائية* على وجه الخصوص.

عبر تيسوت دي باتوت Tyssot de Patot (1710) في لغته المتخيلة، على سبيل المثال، عن الأرقام من خلال الصوامت المتتابعة للغة (b هو" ١"، d هو" ٢"، p هو "١٠ " وعُبر عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"٢١ "بـــdpb). وحتى أن جون فيلجارت John Weilgart استخدم عدداً أقل مـــن الجـــذور العددية، في UI، "لغة الفضاء" (فيلجارت 1968) ؛ حيث عبر عن الأرقام الخمسة الأولى بخمسة صوائت أنفية، والخمسة اللاحقة بالصوائت نفسها ولكنها مطولة (مُثلث في نظامه على النحو التالي: (*u,o,i,e,a* , U,O ,I ,E ,A).

وبالإضافة إلى انتهاكه للقيود بين حدود المعجم والقواعد في اللغات الإنسانية نجد أن تعزيز مفهوم البساطة القصوى يتعارض بقوة مع اعتبارات طبيعيّة ضمن القواعـــد والمكونـــات القواعدية. وبناءً على ذلك، فإننا نجد ،من وجهة نظر البساطة، أن نظاماً يضيف نهاية تدل على صيغة الجمع في كل مرة يذكر فيها أكثر من شيء واحد أفضل من نظام تقع فيه نهايات صـــيغ الجمع مقرونة ببعض الجذوع المعجمية فقط. وإذا ما طبقنا هذا المبـــدأ، عنـــدها ســـيكون في الإنجليزية صيغ جمع مثل *wheats , funs , traffics* وضمائر مثل *Is , Yous* و *shes hes* و *its*.

ومن وجهة نظر الطبيعية،فإن أفضل المواقع طبيعية لصياغة الجمع هي الأسماء التي تشير إلى الناس، يتبعها الأسماء الحية، فالأشياء المعدودة، فالأسماء الجامدة وأخيراً الأسمـــاء المجـــردة. ولذلك فإن غياب شكل مثل *fun* يعتبر أمراً طبيعياً، إلا أنه يعتبر أمراً غير نظـــامي في المعـــنى التقني.

وأمثلة أخرى هي أشكال الاسبرنتو التالية *patro* (جذع patr+ واسم اســـم o-) و patrino (جذع patr "أب" + in "مؤنث" + واسم اسم O). إننا نتعامل هنا مع انتهاك مبدأ فحواه أن ما هو بارز في إدراك أو تجربة متكلمي اللغة يجب أن يرمزَّ بواسطة مفردات معجمية بـــسيطة. وبما أن الأم تميل لأن تحتل موقعاً أكثر مركزية من الأب في تجربة الأطفال، فإن اتجاه الاشتقاق يجب أن يكون على عكس مما هو في الاسبرنتو ؛ و تثور اعتبارات مثل وجوب خلو اللغات من الجنسية، والعنصرية وهكذا دواليك ضد هذه الصيغة من الاسبرنتو.

يُعرف المبدأ الذي ذكر للتو بقانون زبف Zipf، ويـــثير موضـــوعاً هامـــاً آخـــر، وبالتحديد إن كانت اللغات رمزية مطابقة أم اعتباطية/كيفية في جوهرها. لا يسعنا المجـــال في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا المقام التكلم عن تاريخ هذا الجدل بإسهاب. بل عوضاً عن ذلك، سنوضح باقتضاب بعض المجالات التي يبدو فيها أن مهندسي اللغة قد أولوا الرمزية المطابقة قدراً كبيراً من الأهمية.

يمكن دراسة الجذوع المعجمية وفق وجهتي النظر التاليتين: إما اعتبارها مطابقة مباشرة للكينونات التي تشير إليها (محاكاة الصوت) أو أنها مؤلفة من قطع صوتية مطابقة لجوانب من العالم الحقيقي؛ فمثلاً تشير [I] للتصغير أو التقريب، في حين تشير [t] للانقطاع المفاجىء وهكذا دواليك. ومرة أخرى، فإن هذا هو نظام فيلجارت في UI، حيث تمثل الصوائت الأساسية على سبيل المثال u , o , I ,,e, a "الفضاء" و "الحركة"،و "الضوء"، و"الحياة"، و"الإنساني" ؛ إلا أن مثل ذلك النظام قد اقترحه منذ عام 1636م ميرسين M. Mersenne، في عمله *Harmonie Universelle* "*التناسق العالمي*"، حيث تمثل الصوائت الصفات التالية:

aوo = ما هو عظيم ونبيل .

e = حساس، أشياء دقيقة ،مناسب لتمثيل ما هو حزين وكئيب .

i = نحيف للغاية، أشياء صغيرة .

o = للتعبير عن العاطفة الجياشة .

u = أسود، أشياء مخفية .

(يمكنك مراجعة Knowlson نولسن 1975: 67 – 68 لمزيد من الأمثلة).

تميل الكلمات في عمل جورج دالجارنو George Dalgarno حول اللغة الفلسفية، المنشور بعنوان : *Ars signorum* (1661) إلى امتلاك شكل جذر أساسي، حيث يُعبر عن الفروقات من خلال الصوائت، أو من خلال إدخال صوامت(حيث تشير r "العكس" و l إلى "المتوسط بين نهايتين"). إن هذه الفروقات الدنيا متناقضة تماماً مع مبدأ الفَضْل الهام في اللغة الطبيعية، لأن أصغر تدخل في القناة (ضجيج من أي نوعٍ) سيلغي فروقات هامة من جذورها. أما الضمائر وأسماء الإشارة في لغة دالجارنو مثلاً فهي على النحو التالي:

(مستخدمين بعض الأحرف الإغريقية)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

/a/ "أنا"، /ŋ/ "أنت"، *lel* "هو" ، *lol* "هذا".

lvl "نفسها" لغير العاقل. *lul* "من".

قد يؤدي عدم سماع صائت على نحو صحيح إلى سوء فهم خطير. إن بناء لغات بشكلٍ كاملٍ من قطعٍ رمزية مطابقة أو جذوع معجمية يعني في الغالب الاستغناء عن مقتضيات المرحلة اللاحقة من الرمزية المطابقة أي: المطابقة الصرفية أو الرمزية المطابقة التركيبية (راجع ميريثلر Mayerthaler 1981) .وبهذا النمط، فإن طول المفردة المعجمية وتعقيدها الصرفي يتعلقان سوية بالبروز الثقافي والطبيعية اللذين ذكرا أنفاً. وهكذا، فإن كلمة تشير إلى جدة جَدة جدة الجدة مرمزة تطابقياً إن كانت هي أطول من جدّة جدّة الجّدة، وجدّة الجّدة، والجدّة والأم، وغير مطابقة أبداً إن لم تكن كذلك. وبشكلٍ مشابه، يجب على صيغ جمع الأسماء أن تكون أطول أو أكثر تعقيداً صرفياً من صيغها المفردة، وأن تكون صيغ الزمن الماضي للأفعال السكونية أطول من الصيغ غير الماضية. ووفقاً لذلك، فإننا نجد أن الاسبرنتو لا ترمز بشكلٍ مثالي عندما تتمثل الحاجة في صيغ بطول متكافىء ومعقدة صرفياً في كل الأزمنة، وتلك معضلة لا تظهر في فولبك Volapük حيث تكون الصيغ غير - المضارعة أكثر تعقيداً صرفياً من صيغ المضارعة.

ولا يُعرف سوى النذر اليسير حول الرمزية المطابقة في النسق اللفظي غير وجود بعض المبادىء العامة مثل حقيقة أن بروز المبتدأ يجب أن ينعكس في ظهوره في موقع بارز تركيبياً أو أن سلسلة من الأحداث يجب أن تنعكس من خلال سلسلة من الجميلات. وليس لدى المؤلفين أية معرفة بأمثلة عن محاولات واعية لتقديم رمزية مطابقة تركيبية.

إن محاولات عقلنة نطق اللغات المصطنعة كانت غائبة أو بدائية. وهكذا، فإن الأصوات الموسومة بدرجة عالية مثل [y] و [o] موجودة في فولبك، والفرق بين[l] و [r] موجود في معظم لغات القرن العشرين مثل الاسبرنتو وايدو Ido وغيرهما، بما في ذلك فراتر Frater التي يقال إنها تعتمد على الصينية، واليابانية بالإضافة إلى اللغات الأوروبية ؛ويمكن العثور على تجمعات صامتيه في العديد منها. وتولى عادة مسألة تبسيط الأنظمة الكتابية في هذه اللغات كثيراً من الاهتمام على سبيل المثال، التخلص من الرموز الخاصة أو الحروف الثنائية. و ينسجم هذا، بالطبع، مع الملاحظة العامة في أن معظم اللغات المصطنعة مشتقة من شكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكتوب للغة ومصمّمة لتسهيل التخاطب المكتوب بدلاً من التخاطب الشفوي. ففي حين تنتمي معظم اللغات *الأولية* إلى الصنف الأول، فإن اللغات المصطنعة المصممة حصراً للتخاطب الشفوي نادرة تماماً، ومثال ممكن هو Kolonialdeutsch لشفورار Schworer (1916) المصممة لأن تستخدمها القوة العاملة الملونة في إمبراطورية ألمانية عالمية.

ففي حين لا تظهر الطبيعيّة الفونولوجية أو الصوتية للعيان بمعنى الحصول على النتاج الأمثل، فإننا نعثر على اهتمام بالرمزية الصوتية أو المطابقة الصوتية في كثيرٍ من الأحيان، وخاصة في اللغات *الأولية/البدائية*. وهكذا، فإننا نعثر على فكرة أنه على الصائت (i) أن يمثل الصفر،و (a) للكبر و (o) للاستدارة أو العالمية في العديد من الاقتراحات،على الرغم من أن هذه المطابقات تميل، في معظم الحالات، لأن تكون انطباعية (غير دقيقة) وتمتزج بالتقاليد الخاصة بثقافة دون غيرها.

إن ندرة المعلومات في مجالات الطبيعيّة الصوتية والتركيبية تتعلق بالملاحظة الأعم في أن كافة المستويات اللغوية لم تكن ممكنة المنال،وعلى قدم المساواة ،لمهندسي اللغة. يبدو أن التدخل المقصود في اللغات الإنسانية يسترشد في الهرمية التالية:

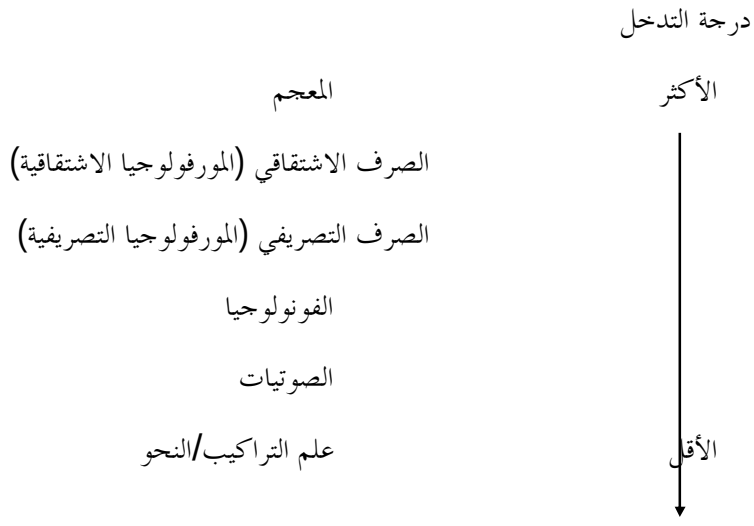

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغالباً ما يستغل ابتكار اللغة مبدأ المساومة التجارية بين المستويات اللغوية. وهكـــذا، يمكـــن تقليص حجم المفردات الشاذة من خلال الدفع بمورفولوجيا اشتقاقية قوية كما هو الحـــال في العديد من المقترحات حول اللغات *اللاحقة*.

يمكن إجراء عدد من العمليات في كل مـــستوى، أهمهـــا: الإضـــافة، والحـــذف، والاستبدال وإعادة الترتيب أو التجميع من هذه (متعدد الأنظمة). ومثل هذه العمليات شـــائعة في التبديلات الآلية للغات الطبيعية وتسمى Ludlings في (ليكوك 1972)، أو لغـــات اللعـــب بالألفاظ من نمط بيج اللاتيني "Pig Latin". وها هي بعض الأمثلة عن كل نمط:

الإضافة:	you can talk Gree	-yougree cangree talkgre Greegree
	you can talk skimono jive	- skyou skcan sktalk skkimono skjive
الحذف:	fabulous	-fab
	snake + shark	-snark
	sado-masochism	-sadie-maisie
الاستبدال:	Ei, da sitzt' ne Flieg' an	-i, di sitzt'ni Flig' in dir
	der Wand	Wind
إعادة الترتيب:	look at the old woman	- cool ta the dillow namow
	butterfly	flutterby
متعدد الأنظمة:	Pig Latin	- lgpay Atinlay
		- withus youvus govus

من المثير للجدل أن أهم سمة تتمتع بها اللغات الإنسانية هي"الطبيعية" وأقلها دراســـة هي مدى تنوعها/تعددية استخدامها. وهي ليست أنظمة مغلقة محكومة بقواعد ثابتة، بل إنهـــا مفتوحة النهاية ولا تحكمها القواعد إلا جزئياً. إن مقدرة الإنسان اللغوية مقدرة إبداع مـــتغيرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القواعد وليست (كما يدعي تشومسكي وأتباعه) قوة إبداع تحكمها قواعد. ووفقاً لذلك، فإن مقياساً هاماً لنجاح اللغات الاصطناعية سيتمثل في قدرتها على الإبداع المتكيّف. ويمكن ملاحظة أن معظم الأنظمة المبتدعة، وخاصة الأنظمة *البدائية أو الأولية*، ليست مناسبة للتغيير. ويظهر تاريخ اللغات مثل الاسبرنتو أن اللغات *اللاحقة* تعاني أيضاً من هذا العجز. وقد بدأ أولئك الذين يعملون في حقل ترقية اللغة (على سبيل المثال، في حالة الأفريكانا والبهسة الأندونيسية. . الخ) الاهتمام بالتغيير، على الرغم من أن هذا الحقل يبقى أحد أفقر الحقول اللغوية بحثاً ودراسة.

ونصادف التغطية غير المتوازية لمستويات اللغة المختلفة مرة ثانية في مستوى المرتبة أو حجم المستوى. تركز هندسة اللغة بشكلٍ أنموذجي على رتبة الكلمة، ومستوى الجملة كحد أعظمي. ولا تولى الفقرة أو تنظيم الخطاب سوى قليل من الاهتمام رغم حقيقة أن معظم اللغات يمكن أن تختلف بشكلٍ كبير في براغماتياتها الخطابية؛ إن مشاطرة الكلمات والتراكيب القواعدية غير كاف لإحداث فهم بين مجموعات مختلفة.

٣. اعتبارات نظرية: السمات/الخصائص الوظيفية

ما زالت دراسة وظائف اللغة في مرحلة ما قبل – النظرية؛ ولا توجد هناك حقائق ثابتة حول عدد الوظائف أو الحدود بينها. ولأغراض هذا القسم، فإننا سنعتمد على أعمال علماء مثل هاليدي وياكبسن. حيث نجد في نموذج هاليدي (1974) أن الترتيب الذي تظهر فيه الوظائف تطورياً في اكتساب الطفل للغة هو على النحو التالي:

وظيفة توجيهية

وظيفة المحاملة

وظيفة تعبيرية

وظيفة استكشافية/تعليمية

وظيفة لغوية وصفية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظيفة شعرية

وظيفية إدراكية/فكرية

يعني المبدأ العام الذي يقول بأن الوعي بالقضايا اللغوية يتناقص عندما يتعلق الأمر بظواهر تطورية سابقة، عندما يطبق على الهرمية الآنفة الذكر، أنه يمكن للمرء أن يتوقع تدخلاً مقصوداً أكبر في التراكيب اللغوية في المستويات الوظيفية الإبداعية/الشعرية منها والفكرية.

وسيظهر أي بحثٍ في هندسة اللغة سواء أكان على لغات لاحقة مشتقة من اللغات الإنسانية الموجودة أو لغات *أولية/بدائية* مصممة وفق اعتباراتٍ فلسفية أو لاهوتية أولوّية أو سيطرة الوظيفة الفكرية على الأنظمة التي يصنعها الإنسان.

ومن الجدير ملاحظته أن الوظائف غير- اللغوية الأخرى كانت في أغلب الأحيان هي الطاغية في العديد من الأمثلة المبكرة من هندسة اللغة. وهكذا فإننا نجد في أوربا القرون الوسطى وما بعدها أن ابتكار لغة جديدة أُعتبر كـ *Imitatio dei* أي: الدفع نحو خلق عالم أفضل. وأكدت شخصيات مثل جاكوب بهوم Jacob Bohme (1586-1654) أن ابتكار لغة كاملة – يمثل حاجة ماسة لتحضير الجنس البشري للعودة الأكيدة لعيسى ابن مريم (المسيح عليه السلام)، وتلك وجهة نظر اعتنقها العديد من معاصريه واتباعه. ويوضح كومينوس Comenius (١٥٩٢-١٦٧٠) معالم برنامج من ثلاث مراحل للانتقال بالجنس البشري من Pantaglossic (لغاته الكثيرة) عبر Polyglossic (عدة لغات محدودة) إلى لغة Monoglassic، (لغة واحدة) ونصل إلى نقطة النهاية عندما يستطيع الناس كافة أن يحمدوا الله في لغة واحدة.

وبشكلٍ مشابه، فإن الوظائف الشاذة للغة والتي تظهر بين الفينةِ والأخرى ما هي إلا محاولات لخلق ترميزات (شيفرات) يمكن أن تزودنا بطريقةٍ للوصول إلى أسرار العالم وأنظمة إخفاء المعلومات، إما لكي تستخدمها مجموعة مميزة صغيرة أو لصالح أفراد بعينهم كما في حالة بعض أشكال اللغات المتعددة. وتظهر مثل هذه اللغات السرية "طبيعياً" أيضاً عند الأطفال (على سبيل المثال، في اللغات التوأم مثل سباكا Spaka - راجع ديهل Diehl وآخرين 1981).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتمييز الأهم في مجال الوظائف هو ذاك بين اللغات المصطنعة بوصفها بدائل لواحدةٍ أو أكثر أو لكامل اللغات الإنسانية وأخرى صممت بوصفها لغات مساعدة أو وسيطة في مجالات محددة دون غيرها. وقد أجج الجدل القائل بأن العالم القديم (قبل بابل) كان أحادي اللغة الرغبةَ في الحصول على لغة واحدة. ويؤكد الكتّاب اللاحقون، خصوصاً كتاب القرن التاسع عشر والقرن العشرين، أهمية لغة عالمية واحدة من أجل سلام العالم. وبناءً على ذلك، نجد أن شيلير Schleyer "مبتكر اللغة المصطنعة فولابوك" صاغ شعاره على النحو التالي:" *لغة واحدة لجنس بشري واحد Menade bal, puki bal*" ؛ أما آخرون، مثل بومان Baumann، مبتكر فيلدويتش (1916)، فقد رأى في استخدام لغة واحدة مشتقة من الألمانية تستخدم في الاتصالات وسيلةً لاستمرار التفوق الألماني. ففي حين يجب على اللغات الوحيدة، بتعريفها، أن تلبي كافة وظائف اللغات البشرية (بالإضافة لأية وظائف إضافية يرغب مبتكروها في تنفيذها)، فإنه يمكن تقييد اللغات المصطنعة المساعدة أو الإضافية بطبقة محددة من الوظائف والأنظمة.

اعتبر معظم مبتكري اللغات *الأولية/البدائية* أن الوظيفة الأساسية للغة تنحصر في إظهار هرمية الخلق. واعتقد عامة أن التصنيف هو التمثيل الأفضل للأشياء، وأنه على الكلمات أن تتجانس مع الأشياء التي تشير إليها. واعتُقد أنه بتحقيق مثل ذلك الانسجام بين اللغة والعالم، نكون قد وضعنا الأساس الصحيح أو المناسب للفكر البشري بشكلٍ جيد.

أما طموحات معظم مؤلفي اللغات *اللاحقة* فمالت في معظمها لأن تكون أقل طموحاً، رغم أنها اتصلت هنا أيضاً بوظيفة الفكر/الإدراك: واُعتبرت اللغات المساعدة وسيلة لتبادل الأفكار بين أعضاء مجموعات مختلفة. وبشكلٍ أنموذجي، فإن هذه الأفكار هي أفكار المجموعات المثقفة (يشير شكوكاردت، Schuchardt 371:1928 إلى أن تبادل الأفكار العلمية هو المهمة الأهم والأكثر إلحاحاً) التي عنت، عند ابتكار معظم اللغات الاصطناعية، أفكار سكان أوربا وأمريكا الشمالية. وساد شعور في أغلب الأحيان، أنه لو أمكن استخدام اللغة الاصطناعية لتلبية بعض الأغراض الوظيفة الإبداعية فإن ذلك سيعتبر ميزة إضافية هامة. وبناءً عليه كان هناك تيار من العمل الإبداعي في الاسبرنتو منذ ظهور المجلد الأول للشعر عام ١٨٩٣. وبعيداً عن الوظيفة الإبداعية كان هناك ابتكار لغات خاصة من أجل الأغراض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأسلوبية والأدبية الأخرى،أي: من أجل توضيح كيف يمكن لسكان مدينة أفلاطون (الأيتوبيا) أو سكان مدينتين أفلاطونيتين أن يتبادلوا الحديث. وتلفت دراسة لهذه اللغات (ليكوك١٩٨٧) الانتباه إلى بعض المظاهر الحكيمة لمثل تلك الإبداعات الأدبية:

أ. إن تنوعها التصنيفي أكبر بكثير من ذلك الموجود في اللغات الطبيعية الإنسانية، ولكن في طرق مختلفة تماماً.

ب. إن الأنماط غير الطبيعية (على سبيل المثال، التحدث العكسي أو الأنظمة *الأولية*) شائعة بين سكان العوالم الأدبية .

ت. إن معظم اللغات *اللاحقة* قد صممت بشكلٍ قريب جداً على نمط عدد محدد قليل من اللغات الأوروبية، وخصوصًا فيما يتعلق ببعض المعالم مثل ترتيب النسق اللفظي (فاعل - فعل - مفعول به) وقواعد الرفع والنصب .

ث. إن الرمزية المطابقة عالية للغاية والانتظام هو السائد .

ج. غالباً ما تسيطر هيئة حاكمة مثل أكاديمية على هذه اللغات وتضبطها وتنظمها .

تكمن الرغبة في بلورة تجانس وانسجام بين اللغة والعالم وراء العديد من الأعمال الأدبية الإبداعية. وبناء عليه، وإذا ما قيدنا أنفسنا ببعض الأمثلة الحديثة، فإننا نجد أن استخدام الروسية والصيغ شبه - الروسية في عمل بورجس Burgess بعنوان: *البرتقالة الأتوماتية A Clockwork Orange*، قد فُسِر بأنه دليل على وجود مجتمع عنيف، وإن استخدام العديد من الجذور الجرمانية والاسكندنافية في لغة زيمبلان Zemblan، وهو عمل لنابوكوف Nabokov ، أمر مناسب لدولة مثل زيمبلا، وتلك أرض بعيدة في الشمال (راجع كروجر Krueger 1967).

و لم تتم محاولة إظهار الوظيفة الإبداعية للغات الاصطناعية في الأدب "الرفيع" فقط، ولكن إلى حد أكبر في أنواع متعددة من الثقافات والآداب كما في المبارزة الكلامية (حول موضوع بعينه) أو لغات اللعب بالألفاظ Ludlings (تلك التي تنطوي على تحويلات منتظمة). وتشكل لغات اللعب هذه جزءاً من الكفاءة اللغوية لمجموعة سكانية كاملة، ولكن بما أن استخدامها يتطلب الممارسة، فإنها غالباً ما توظف كلغات سرّية لمجموعات فرعية محددة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجموعة السكانية الكبيرة لأن أعضاء المجموعة السكانية الآخرين يفتقرون إلى الطلاقة الـــتي لا تأتي إلا من خلال الاستخدام الدائم. وغالباً ما تتألف هذه المجموعة الفرعية من طلبة مـــراهقين ومن هم أصغر سناً من المراهقين يشعرون الآن ،بعدما أتقنوا صيغ لغتهم القواعدية الأساســـية، بحرية تجريب لغتهم في بيئة ربما كانت اهتماماتهم (الجنسية والفردية) تتعارض تماماً مع اهتمامات العالم العاقل(عالم الكبار) حولهم.

وإذا ما أخذنا في عين الاعتبار حقيقة أننا نتكلم عن اللغة وفق معايير مـــشتقة مـــن اللغات اليومية، فيمكن للمرء أن يتوقع وجود اهتمام لدى مبتكري اللغات المصطنعة في ابتكار لغة عالمية جامعة، حيادية الثقافة (منطق عالمي). أما في حقيقة الأمر، فلا يوجد هنـــاك ســـوى أبهت الدلائل بين اللغات المصطنعة والمبرمجة لتحقيق ذلك باستثناء الجهود الأوســـع المتعلقـــة بتنظيم الخطاب الإنساني في فئات تصنيفية. وبشكلٍ أنموذجي، تم اعتماد الفئات اللغوية التقليدية لأجزاء الكلام في بناء اللغات. وبالتالي، فهناك تقسيمات فرعية عالمية تقريباً تعتمد أقسام الكلام التقليدية إذ نجد التصريفات مع الأفعال (الزمن لا الهيئة) ودلالة العدد مع صيغ الجمـــع. أمـــا التراكيب التي لم يكن لها تسمية زمن الاختراع (على سبيل المثال، التوافقية،وتحويل الدلالـــة أو المرجعية، وعكس المبنى للمجهول) فلم تناقشها الغالبية العظمى من مصممي اللغات. وبقيـــت المصطلحات اللغوية غير مرضية، ويبقى الاهتمام باللغويات الجامعة (العالمية)، وخاصـــة علـــى الأنواع *اللاحقة* من اللغويات الجامعة وليس الأنظمة *اللاحقة*، مهمة ملحة للغاية.

وتتصل محاولات بناء لغات مناسبة للتعبير عن الوظيفة التعبيرية بـــشكلٍ أنمـــوذجي بالتجربة الدينية ،وتميل لأن تكون مقيدة بالحاجات الفردية (كما في هَذَر الغَشَيان) بدلاً مـــن التواصل بين الأفراد. وفي الحالة الاخيرة، كما وَضح سمارين Samarin (1976 :٦ وما يليهـــا) وُجه ابتكار اللغة لتعزيز التماسك الديني بين المجموعات الدينية بالإضافة لاستبعاد الغرباء عنها.

ربما كان من المحتم علينا أن نقرَّ أن تواصل المجاملة هذا نادراً ما يكون على شكلٍ لغة متكاملة، على أية حال، ولكن يُعبر عنه في وسائل غير - لغوية مثل هذَرَ الغشيان الذي يمثـــل مجرد شكل من لغة – البأبأة (المناغاة)، أو لغة تقليد أو محاكاة، التي تمثل محاكاة للغات الطبيعية بشكلٍ توحي فيه وكأن اللغة الطبيعية هي المستخدمة في الكلام. وهَذَر الغشيان شائع في العديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أديان العالم - وليس فقط في المسيحية الساحرة للناس – ويستخدم في الإشارة إلى قبول المتكلم للروح الإلهية. أما لغة التقليد والمحاكاة من الناحية الأخرى فهي أكثر شيوعاً في العروض الدرامية إذ يمكن لممثل على سبيل المثال أن يتمنى إعطاء الانطباع بأنه حارس ألماني في معسكر سجن ؛ فلذلك فإنه سيتكلم "لغة "لا معنى لها بصفات صوتية ألمانية، وبالتالي يتم توطيد طبيعة الدور.

قُدم مصطلح لغة المجاملة في العشرينيات ،أي بعدما تم مسبقاً تركيب معظم اللغات *الأولية/البدائية واللغات اللاحقة* قيد البحث في هذه الورقة. وهكذا، وعلى الرغم من أهمية لغة المجاملة (أي: المحافظة على قناة الاتصال مفتوحة)في الحفاظ على الانسجام في العلاقات الشخصية، فإنه لم يتم إنتاج سوى القليل من التخطيط الرسمي اللغوي لتجنب التصادم في الكلام القصير. وعوضاً عن ذلك، فقد افترض التصورُ العامُ أن الحجم الأكبر من المعلومات يجب أن يتم تبادله من خلال اللغات مسبقة التخطيط.

ففي الوقت الذي لاحظنا فيه حتى الآن إهمال الوظائف الأقل فهماً في اللغات المصطنعة، فإن هناك نشاطاً كبيراً بما يتعلق بآخر وظيفة نذكرها هنا ألا وهي الوظيفة الإرشادية أو التوجيهية. إن الفكرة القائلة إنه من الممكن بناء لغة لضبط العقل تتصل بشكلٍ وثيق بعبارة أوريل نيوسبيك ((Newspeak ، اللغة الغامضة التي يستخدمها الساسة عمداً)، (قارن بولتين Bolton 1984)، حيث قيل إنه من خلال حذف كلمات من القاموس، فإن المفاهيم المرتبطة بها والمقدرة على المناقشة حولها تحذف أيضاً. وفي الوقت ذاته، تعطي الكلمات الموجودة معاني أكثر دقة وتُصك مصطلحات جديدة لتلبية الاحتياجات الإيديولوجية. ويتمتع الضبط الاجتماعي من خلال الاستخدام اللغوي (وليس ابتكار اللغة) بتراث طويل بالطبع، وقد سبقت اللغات المركبة بهدف الضبط الاجتماعي بوصفه هدفاً أساسياً الأعمال الأدبية المعروفة باسم newspeak. وهكذا، فإننا نجد أن كولونيلدتش Kolonialdeutsch لشفورر 1916 قد صممت لتلبية الأغراض التالية:

-"لمضاعفة الحركة الإقليمية للسكان الأصليين، وبالتالي زيادة الاعتماد عليهم ؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- لغة للأسياد الألمان والمستعمرين لإعطاء أوامر ؛
- رمز للسلطة الألمانية".

وكما هو الحال في Newspeak فإن مصادر كولونيلدتش المعجمية قد قلصت بشكلٍ كبير ، لكي تمنع "السكان الأصليين" من استراق السمع لمحادثات أسيادهم وتمنعهم أيضاً من "مناقشة" مواضيع مثيرة للجدل فيما بينهم. وبما أن خُططَ الألمان للسيطرة على العالم بعد الحرب العالمية الأولى لم تتحقق، فإن هذه الصيغة المصطنعة من الألمانية لم تطبق أبداً، و لم تكن هناك محاولات لاحقة لنفخ الروح في شكل مشابه من الألمانية للاستخدام مع العمال الضيوف. وركزت معظم المحاولات الجارية لجعل اللغة أكثر مناسبة للضبط الاجتماعي على مجالات ضيقة من المعجم بدلاً من مراجعة بنيوية على مستوى كبير. وقد تحققت خطوات متقدمة هامة في كل من لغة الدعاية (على سبيل المثال، فيستر جارد Vestergaard وسكرودر Schroder) والسياسة (بولنجر Bolinger 1980).

وباختصار فقد أُنجز القدر الأكبر من هندسة اللغة باهتمام قليل نسبياً بوظائف اللغة، وهناك قدر لا بأس به من هذا العمل تعمد إهمال الوظائف اللغوية كلها ماعدا الوظائف الفكرية. وعلى الرغم من أن الجانب الفكري يمثل جانباً هاماً من جوانب اللغة، إلا أن أعضاء المؤسسات الأكاديمية قد بالغوا في دوره كثيراً. وإن التقدم الذي تحقق في مجالات المنطق والقواعد ما زال يحتاج لتقدمٍ يوازيه في مجال الأبعاد البلاغية اللغوية.

٤. اللغات *الأولية* (البدائية)

توجد اللغات *الأولية* في معظم صورها على هيئة بنى فكرية أو تصورية .بمعنى أنها لغات لا يمكنها أن تعرض "الكمال" الذي تعرضه اللغات الطبيعية في كافة الطرق الممكنة –كالرمزية المطابقة أو الطبيعية المطلقة - كما أنه لا يمكن تصميمها على هيئة لغات حقيقية، أو حتى أن تُركب في أي درجة قريبة من ذلك. ومع ذلك فإن مفهوم اللغة *الأولية* المثالي كان موضوعاً شائعاً في كافة الحضارات التي يذكرها التاريخ؛ وسنتعامل الآن مع بعض الأفكار الأساسية فيه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تم تخيل اللغة المثالية كلغة إلهية، أو لغة أساسية أو لغة الفلسفة. وهذه اللغات الثلاث هي واحدة عند بعض الكتاب، في حين يرغب بعضهم الآخر التفريق بينها. واللغة الإلهية هي اللغة التي تتكلمها القوى الخيرّة فوق مستوى البشر كما عند الآلهة أو الملائكة والرسل الإلهية الأخرى ؛ ولخص سويدنبورغ Swedenborg (1958,1758) هذه السمات بشكلٍ جيد على النحو التالي:

"ولدى أهل السماء جميعهم لغة واحدة ... لا يتم تعلم اللغة هناك ولكن تزرعها الطبيعة في كل واحد، لأنها تنساب من وجدانهم أنفسهم وفكرهم. وتتناظر نغمات كلامهم مع وجدانهم، ويتناظر النطق الصوتي الذي يتألف من كلمات مع أفكار الفكر الذي ينبثق من الوجدان ؛ وبسبب هذا التناظر، فإن الكلام نفسه روحي، لأنه الوجدان يفكر والفكر يتكلم ... ولأن كلام الملائكة يصدر مباشرة عن وجدانهم .... فإن الملائكة تستطيع أن تعبر في لحظة عابرة ما يعجز الإنسان عن تعبيره في نصف ساعة" .

ولذلك، فإن اللغة ثابتة وغير قابلة للتغيير، وغريزية، ورمزية مطابقة، ومختصرة للغاية ومنطقية وطبيعية. وتعزى هذه المواصفات نفسها إلى اللغة الأولية، أو لغة الإنسان الأصلية المفترضة، والتي تعتبرها معظم الأنظمة الدينية ذات أصل الهي.

هناك، بالطبع، مصاعب جمة بمثل هذا المفهوم، من وجهة النظر اللغوية. فسيكون من المستحيل الكذب في مثل هذه اللغة لأن الانسجام التام بين اللفظ والواقع سيعني أنه لا يمكن نطق سوى الأقوال الصحيحة ؛ وأكثر من ذلك، فإنه لا يمكن نطق أي شيء جديد، وأن كافة الأقوال الممكنة ستكون معروفة مسبقاً للمستمعين، ولذلك، فإن الخيار الوحيد المتبقي هو بين التفاهة أو الصمت، أو أن نطق كلمة واحدة سيغني ،في واقع الأمر، عن كافة الأقوال الممكنة الأخرى، كما في خيال أو تصور بورجز Borges (1970):

"ومع مرور الزمن بدا مفهوم الجملة الإلهية صبيانياً أو تجديفياً. فما على الإله ، كما تصورت، إلا أن ينطق كلمة واحدة وفي تلك الكلمة الكمال المطلق. فلا يمكن أن ينطق كلمة تكون أدنى من الكون أو أقل من المجموع الكامل للزمن. إن الظلال أو الصور الزائفة لهذه الكلمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمفردها المساوية للغة، وكل ما يمكن للغة أن تحتوي هي الكلمات الإنسانية القليلة، ***كل و عالم وكون.*** *"*

أما اللغة الفلسفية فلم تُفهم عادةً على هذا النحو المتطرف: فليست بحاجة لأن تكون غير قابلة للتغيير (علماً أن التغير لا يدمج بسهولة في معظم الأنظمة المقترحة)، ويمكن تعلمها (ولذلك، فهي ليست غريزية)، وليست مختصرة للغاية أو شاملة (بمعنى أن لفظاً واحداً قادر على تمثيل ألفاظ أطول في لغات طبيعية). وكما وضحنا سابقاً في هذا الفصل، فإن الرمزية المطابقة والمنطق في اللغة الفلسفية يعملان باتجاه يعاكس اتجاه الطبيعيّة).

ومنذ القرن السادس عشر وما بعده (مع بضع أسلاف قلائل مثل رامن لل Ramon Lull)، بدأت الفكرة القائلة بأنه من الممكن ابتكار مثل تلك اللغة الفلسفية العالمية التي لن تكون اعتباطية قدر الإمكان، وترتكز على تصنيف فلسفي لتجربة الإنسان، ومنتظمة تماماً في الصرف والاشتقاق تتبلور بين علماء الغرب. وربما لم تكن مصادفة أن هذه الفكرة نمت بقوة مع انحسار اللاتينية التدريجي كلغة مشتركة للعلماء والمثقفين في أوربا.

يعود فضل السبق لمقترحات جادة لمثل تلك اللغة *الأولية*، في أغلب الأحيان، لديكارت Descartes في رسالة أرسلها إلى بير مارين ميرسين Pere Marin Mersenne (١٦٢٩). إلا أن ديكارت لم يعترف إلا على مضض بالفائدة الممكنة من قاموس متعدد اللغات وبمفتاح بين اللغات، و لم يقدم سوى مقترحات محددة قليلة حول تركيب لغة ترتكز على الفئات الفلسفية، زيادة على اقتراحه في أنه يجب على الفلسفة أن تكون صحيحة، ويجب أن يكون الصرف (المورفولوجيا) منتظما أيضاً .

"... car faisant une langue, ou il n'y ait qu'une facon de conjuger, de decliner, et de construire les mots, qu'il n'y en ait point de defectifs ni d'irreguliers, qui sont toutes choses venues de la corruption de l'usage, et meme que l'inflexion des noms ou des verbes et la construction se fassent par affixes, ou devant ou apres les mots primitifs lesquelles affixes soient toutes specifiees dans le dictionnaire, ce ne sera pas merveille que les esprits vulgaires apprennment en moins de six heures a composer en cette langue avec l'aide du dictionnair, qui est le sujet de la premiere proposition."

دغدغت الفكرة أيضاً ليبنز Leibniz في الربع الأخير من القرن السابع عشر، ولكن كما يوضح نولسن Knowlson (1975)، كانت أفكاره ذات طبيعة نظرية فقط، و لم يكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العديد من ملاحظاته حول الموضوع سهلة المنال لمعاصريه و لم تصبح معروفة إلا من خلال عمل كوتروا Couturat (1903,1901). ولذلك يجب أن يعود الفضل في واحدة من أكثر المحـــاولات شمولاً لتركيب لغة كهذه لجـــــورج دالجارنـــــو George Dalgarno، الـــذي نـــشر *Ars signorum* في عام 1661.

يمكن رؤية التعقيد الذي يمكن أن تصبو إليه مثل تلك اللغات الفلسفية أيضاً في لغـــة اقترحها ثوماس اركوار Thomas Urquhart في عام (1953). لم يخترع اركوار كلمات لغتـــه، ولكنه وضع قواعدها: مئتان وخمسون جذراً، وأحد عشر جنساً، وعشرة أزمنة (ترد مع كافـــة أقسام الكلام)، وست صيغ فعلية، وأربع صيغ فعلية للبناء، واثنا عشر قسماً للكلام ؛ والأهـــم من ذلك فهناك معنى لكل حرف ، وسترد كل كلمة مولدة في اللغة ولذلك نجد:

92. اثنان وعشرينياً: تمتلك العناصر المتضادة في أي تقسيم في هذه اللغة، عادةً، الأحرف نفسها في الكلمات التي تشير إليها ؛ ويكون الحرف الأول والأخير متشابهين تمامـــاً، في حين يقع التغير في المنتصف فقط.

93. ثلاثة وعشرينياً، يمكن استخدام كل كلمة في هذه اللغة من بدايتها أو نهايتها على حدٍ سواء (سواء بدأت بالحرف الأول أو الأخير فيجب أن تحصل على كلمة ذاتِ معنى) ومهما قلبت الأحرف، فستحصل على كلمات هامة ذات معنى: وبذلك نحصل على إمكانية رائعة في الحصول على جناس القلب.

سَخِر جونثان سويفت Jonathan Swift من مفهوم اللغة الفلسفية *الأولية* برمتـــه في سرده (١٧٢٦) لفلاسفة لابوتا Laputa، الذين حملوا معهم كافة الأشياء التي تصوروا أنها يمكن أن تصلح بوصفها مواضيع خطاب "لأن الكلمات هي مجرد أسماء *للأشياء*". تكمن قوة هـــذا الهجاء اللاذع في حقيقة أنه في فترة وجيزة قد يخطر في بال هؤلاء الفلاسفة أنـــه يمكنـــهم أن يحملوا معهم صور الأشياء التي يتحدثون عنها، ويمثل ذلك خطوة صغيرة للانتقال مـــن تمثيـــل المطابقة إلى تمثيل مطابقة الأشياء في كلمات، كما تم تصورها في اللغة الفلسفية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وربما بسبب مثل هذه التعليقات اللاذعة، فمن النادر أن نصادف لغة *أولية* بشكلٍ كاملٍ بعد القرن الثامن عشر. أما سلالتها المباشرة، على أيةِ حال، فهي أنظمة اللغة الرسمية الموصوفة في كتب الرياضيات والمنطق المنهجية - بما في ذلك لنكس Lincos الممتعة، وتلك لغة صممت لـ "الخطاب الكوني" (فرينـدثال Freudenthal 1960 و 1974) وبعض لغات الحاسوب. وهناك ذكر أيضاً لـ (لغة الفضاء (1968) لـ فيلجارث Weilgarth، التي قيل أنها مفيدة في نقل مفاهيم إلى الأطفال المعاقين عقلياً. ولكن تميل مثل هذه اللغات إلى اشتقاق قسم كبير من تركيبها من مبادىء لاحقة، وبالتالي فهي ليست لغات فلسفية بالمعنى الدقيق.

وبسبب طبيعة المطابقة التي تطغى على اللغة الفلسفية، كانت هناك بعض المحاولات لعرض اللغة على شكل صورٍ؛ وتسمى "اللغة الإيمائية" هذه بـ "الكتابة الصورية". وتمثل UI ليفلجارث واحدة منها، لأنها تزودنا بعناصر صورية لكل وحدة من وحدات اللغة؛ وهناك لغتان صوريتان في القرن العشرين وهما *بالينو* Paleneo (1972) لـ ليزلي كارتريز Leslie Charteris و بلسمبولك Blissymbolics لـ (1965,Bliss). وتُستخدم مثل هذه الأنظمة في الإشارات المطلوبة للتواصل عبر عدة لغات في المطارات الدولية، على سبيل المثال، ولكنها تميل في تطويرها المفصل، لأن تكون بعيدة كل البعد عن الشفافية المطلوبة، وبالتالي فهي لا تعرض سوى مزايا إيجابية قليلة للغاية، إن كان هناك أي منها، أكثر من اللغات المبتكرة المعروضة في الكتابة العادية.

يمكن تتبع فكرة اللغة المطابقة الصورية عامة إلى فجر المعرفة في أوروبا واللغة الصينية، فرودشام Frodsham (1964). شاع الاعتقاد بأن لدى الصينية نظام كتابه يُعبر فيه عن كلمات كاملة أو مفاهيم بأحرف مفردة، بعضها كانت قابلة للتحليل في تمثيلات صورية - وبالتالي لم تكن اعتباطية، ويتفق ذلك مع اللغة الفلسفية. وبالإضافة إلى ذلك، أدى وجود النغمات في الصينية، ومفهوم الموسيقى كـ "لغة عالمية" (وذلك مفهوم يتجاهل الأسس الثقافية الأساسية لكافة أنواع الموسيقى، وكذلك أيضاً المدى المحدود للغاية للتواصل الممكن من خلالها) إلى ظهور عدد كبير من اللغات الأفلاطونية تعتمد على مواضيع موسيقية منذ القرن السابع عشر وما بعده. ونعني باللغات الأفلاطونية لغات صممت لتعمل في دول أفلاطونية (يوتوبيا)، وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالدول نفسها، منظمة بطريقة وكأنها شكل أكثر تطوراً من اللغات الطبيعية – سواء فهمت على أنها مجرد لغات طبيعية معدلة أو محسنة (لغات *لاحقة*) أو لغات فلسفية *أولية*، أو تجميعاً من النوعين.

وعلى الرغم من أنه لا يمكن اعتبار مثل هذه اللغات الأفلاطونية الخيالية هندسات لغوية جادة، إلا أن هناك موضوعاً مستمراً يتعلق بصياغة المفاهيم المتعارضة في معناها يجب أن يعزل عن ذلك، لأنه يطفو على السطح دائماً في تركيب اللغات *اللاحقة*. وبما أن هناك علاقة منطقية مباشرة بين الكلمة، أو المفهوم، وضدها، فلذلك يجب التعبير عن المعارضة (التناقض) بالطريقة نفسها في اللغة المثالية . وعَبرت سوليرسول Solresol، وهي لغة *أولية* اعتمدت على السلم الموسيقي ويمكن عزفها على أيةِ آلة موسيقية، اقترحها جين - فريدرك سودرا Jean-Frederic Sudre عام 1818، عن الأفكار المتعاكسة من خلال عكس النغمات - وهكذا تشير *Domisol* إلى "الإله"، في حين *Solmido* إلى "الشيطان" - ولكن كما أشار كوترات وليو Couturat & Leau (1903)، ينهار النظام مع *dosidomi* "خضروات" و *Midosido* "تضحية". وتتمثل نتيجة ملازمة لمثل هذا النفي المنظم، وتلك سمة بارزة في اللغات *اللاحقة*، بأفكار في أنه يمكن للكلمة نفسها في اللغة الأفلاطونية أن تعبر بشكلٍ واسع عن معان مختلفة، وحتى متناقضة؛ أو أن نسبة الغموض في اللغة المحكية مرتفعة لدرجة أنه يجب أن يقترن الكلام بالإيماءة ؛ ويرجع أصل هذه الأفكار الأولى إلى أفكار خاطئة حول طبيعة اللغة الصينية - لدرجة أنه تم الاعتقاد بأنه يمكن اشتقاق مفهوم الإيماءات من ملاحظة أن الصينيين يشيرون إلى أحرف مكتوبة في الهواء. إلا أن لغات الخيال الأدبية الأفلاطونية، بما في ذلك لغة الخيال العلمي، كثيرة، و لم نُشرْ هنا إلا إلى بعض المواضيع أو الأفكار السائدة. (ولمعالجة شاملة، راجع ليكوك 1987).

٥. اللغات *اللاحقة*

تُعرّفُ اللغات اللاحقة عادةً بأنها نسخ مبسطة عمداً عن لغات إنسانية موجودة أو مجموعات من اللغات. ويقابل هذا التعريف الضيق وجهة النظر الأعم التي تدرس، من جهة، أمثلة من هندسات لغة تؤدي إلى لغات مبهمة وأكثر تعقيداً لا تفهمها سوى فئة محددة من الناس ، ومن جهة أخرى، لغات مبسطة (الهجينية، والعامة، واللغة المشتركة) التي لم تَنتجْ بساطتها عن عمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنساني مقصود. ومن دواعي السخرية إلى حد ما أن الملايين من المتكلمين الأمييّن في عدة أجزاء من العالم كانوا يستخدمون لغات لاحقة تقوم بوظيفتها على النحو الأكمل عندما كان يحاول أكاديميو وسط أوروبا اكتشاف سر اللغة المثلى للتواصل الدولي. ومن المفيد أن نلاحظ أن معظم هؤلاء العلماء لم يلحظوا اللغات الخليط أو الهجينة أو أنهم رفضوها أو أهملوها، كما يزعم جيسبرسن Jespersen في مقدمته "*للغة العالمية*" التي يقول فيها "*إن البساطة لا تعني أن اللغة التي نبنيها هي نوع من اللغات" الخليط" غير قادرة على التعبير عن دقائق الفكر الضرورية لأوروبين على سوية عالية من الثقافة ... إن اللغة المشتركة التي ادعمها ... مختلفة تماماً عن تلك اللغات إذ أنها مُعبَرة وفعالة، رغم أنها غاية في البساطة في بنيتها القواعدية*". وإحدى المحاولات القليلة لإرساء لغة *أولية* وفق تراكيب لغة مشتركة أوسطية (من حوض المتوسط) ولغات خليطة أخرى هي لغة شتينر (١٨٨٥)،المسماة "باسيلنجوا "Pasilingua . يؤكد شكوكاردت الذي قام ببحث مكثف على اللغات الهجينة والخليط واللغات المساعدة العالمية أهمية الأولى والأخيرة ؛ ويناقش بأنه عوضاً عن تبني أشكال مبسطة عمداً عن اللاتينية (مثل Nov-Latin أو Mondo Lingue) يمكن للمرء، وبشكل مشابه (١٩٢٨: ٣٨٢) أن "*يقدم نسخة خليطة من لغة رومانسية كلغة عالمية*."

إن مؤسس فكرة اللغة العالمية المساعدة هو ديكارت الذي يوضح، في رسالة إلى بير ميرسين 1629، مقترحاته حول لغات لاحقة موجودة مبسطة ولغات *أولية* أيضاً، وذلك اقتراح رحبت به الأوساط الأكاديمية في الوقت الذي أدى فيه انحسار اللاتينية ونشوء اللغات القومية إلى جعل التواصل الأكاديمي بين العلماء من الأمم الأوربية المختلفة أمراً يزداد صعوبة. وفي القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر، بُنيِّ عدد من اللغات *الأولية* (راجع آنفاً) بالإضافة إلى أنظمة مزيجة كتلك من النمط الذي اقترحه كومينوس وليبنز، حيث يجمع الثاني (1646-1716) معجماً مشتقاً من اللاتينية مقروناً بنظام دلالي نحوي فلسفي عالمي. أما أقدم نسخة للغة لاحقة نقية فقد نوقشت في موسوعة ديدروا ودي المبرت Diderot & d'Alembert في مقال كتبه فيجو Faiguet يعود لعام (1765). وعلى الرغم من أنه لم يقدم سوى مخطط عام، إلا أن هناك مبادىء تبسيط عامة وواضحة، تم الرجوع إليها مراراً و تكراراً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأمثلة اللاحقة من اللغات *اللاحقة*. وبناءً على ذلك، تم تقليص المورفولوجيا (الصرف) التصريفية بشكلٍ كبيرٍ و لم تُرمز التصريفات القواعدية مثل الجنس، وتم الاستغناء تماماً عن أدوات التعريف والتنكير. أم القسم القليل المتبقي من المورفولوجيا فكان منتظماً تماماً.

واقتراح كامل للغة لاحقة تعتمد على اللاتينية هو كاربوفوروفيلوس Carpophorophilus (٣٤١٧): حيث قُلص حجم المعجم اللاتيني من خلال التخلص من المرادفات، واستعيض عن التصريف بالأدوات، وهناك زائدة واحدة للجمع *im* - مستعارة من اليهودية/العبرانية وانتظم التصريف الفعلي.

وتتالت عدة مقترحات مشابهة للغات لاحقة في القرن التاسع عشر؛ كان معظمها من عمل أفراد يعملون بمفردهم وبالتالي لم يُطبق أي منها. واعتمد معظمها على عدة لغات مستخدمة في أوروبا الغربية، وخصوصاً اللاتينية ولغات رومانسية أخرى، وكانت معظمها، كما يمكننا أن نرى، على هيئة أنظمة لغات مغلقة غير قادرة على التغير والتكيف، وكانت فولابك أول لغة مصطنعة يتكلمها، على أرض الواقع، عدد كبير من الناس، وهي من اختراع القس الألماني شييلر (1880). وكما أُشير آنفاً، فقد جمعت فولابك عناصر من لغات *أولية* وأخرى لاحقة. وهكذا، نجد أن قسماً من معجمها مشتق من لغات أخرى (الإنجليزية، والألمانية واللاتينية بشكلٍ رئيسي) من خلال عمليات منتظمة وأخرى عشوائية (على سبيل المثال، *vola* من الإنجليزية "world" و "*puk*" من "speak")، في حين تم ابتكار مفردات أخرى، وخاصة الجذوع المقيدة للكلمات مثل el –" inhabitant of"، بمعنى "قاطن كذا"، و كما في *Parisian* بمعنى "باريسي" *Parisel* أو *af* – بمعنى "حيوان" كما في "*suplaf*" "عنكبوت".

وبما أن لغة فولابك قد صممت لتحل محل اللغات الأخرى في النهاية، فإن التبسيط قد اقتصر على تنظيم الأنماط المورفولوجية وليس حذف الفئات القواعدية مثل الزمن، والجنس أو صيغة البناء، بل أنها كانت لغة تأليفية للغاية، وتتطلب مهارات عالية في الترميز وفك الرموز من مستخدميها. واخترنا الصيغ التالية من الجدول الفعلي للفعل lofon بمعنى "يحب" كي نوضح ما ذكرناه:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحب	*löfob*
أحببت	*alöfob*
سأكون قد أحببت	*ulöfob*
يحب (هو)	*löfom*
تحب (هي)	*löfof*
يحبون	*öfob* - s
كانت دائماً تُحَبُ(محبوبة)	*pe-i-Löf-o-f*
يحب واحدنا الآخر	*löfo-b-seok*
ألن تكون قد أحببت	no-li-e-löfo-s-la
إنه قد أحب	e-löfo-m-la

وحوالي 505.430 من صيغ أفعال ممكنة.

وعلى الرغم من مثل هذه الصعوبات، اكتسبت لغة فولابك أتباعاً عالميين فاق عددهم أبعد ما كان يحلم به مبتكرها. واستخدم هذه اللغة حوالي مليون شخص عام ١٨٨٨ وعُقدت ثلاثة مؤتمرات متتابعة حولها في 1884 و 1887 و 1889، وضم المؤتمر الأخير ممثلين عن أكثر من ثلاث عشرة دولة. وقيل إن القرار في اعتماد لغة فولابك كلغة وحيدة في كافة أعمال المؤتمر كشف نواقصها للممثلين. والأهم من ذلك، يبدو أن السبب يكمن في الصراع الإيديولوجي بين شيلر الذي أراد من اختراعه أن يكون قادراً على التعبير عن النطاق الكامل للفروقات الدلالية الموجودة في اللغات الإنسانية الأخرى وأولئك الذي رغبوا في تقليص فولابك إلى مكانة أقل تواضعاً كلغة مساعدة عالمية. واقترح بعض اتباعه (مثل مخترعو "بوبال" Bopal، و"سبلين" Spelin، و"ديل" Dil، و"بالتا" Balta، و"فيلتبارل" Veltparl، ولانجا بلو La

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

bleue Langue) أشكالاً أبسط، وهجرها البعض الآخر والتحق بحركة Esperanto "الاسبرنتو" التي كانت تستقطب وقتها زخماً.

تعتبر الاسبرنتو، التي اخترعها طبيب العيون البولندي لودفيغ زامينهوف IudwigL Zamenhof، (١٨٥٩-١٩١٧)، لغة لاحقة تعتمد أساساً على قواعد ومعجم رومانسي وجرماني .صدرت الطبعة الأول في عام 1887، وظهرت الطبعة الثانية عام 1894، التي ضمت العديد من اقتراحات الآخرين بالإضافة إلى تغيرات أجراها زامينهوف نفسه.

كان انتشار الاسبرنتو أبطأ من لغة فولابك لكنه كان أكثر ثباتاً . ويكمن سر نجاحها في بنيتها القواعدية الأكثر سهولة (فهي أقل تأليفية/تركيبية بكثير من لغة فولابك)، ومرونتها، وربما الاضطهاد السياسي في كل من روسيا القيصرية وألمانيا النازية اللتين أعطتا لغة الاسبرنتو مكانة اللغة التحررية التقدمية المضادة للأنظمة القائمة. إن التوازن بين معجم عالمي ومجموعة صغيرة (حوالي خمسين) من الصيغ الاشتقاقية والتصريفية الالتصاقية جعلها لغة سهلة التعلم للغاية، وخاصة لمتكلمي لغات SAE. وبعض سماتها التركيبية أوربية صرفة، على أيةِ حال، (هناك نظام من ستة ضمائر وتمييز بين حالة النصب وحالة الرفع في الأسماء، وموافقة الصفات للأسماء التي تصفها) وبعضها الأخر غير - طبيعي (مثل اشتقاق صيغ التأنيث كاملة من أساس مذكر عن طريق الزوائد أو اشتقاق الأقطاب المتضادات بواسطة البادئة -*mal*) مما وضع المتعلمين من خلفيات ثقافية أخرى يعانون من صعوبات جمة في تعلمها. وتلقت انتقاداً آخر بسبب رفضها عدداً من الجذور المعروفة عالمياً على نطاق واسع (على سبيل المثال صيغ ممكنة مشتقة من اللاتينية مثل *anno* "عام" أو *skola* "مدرسة" واعتمادها جذوراً أقل شهرة أو معرفة مثل jar (مأخوذ من الألمانية) أو *lernejo* (جذر ألماني بزائدة من لغة الإسبرنتو).

وكما هو الحال في اللغات *اللاحقة* الأخرى المتعلقة بلغات SAE فإن مقياس ما يكون مفهوماً وبالتالي مفردة معجمية يعتمد بشكلٍ وثيق على معرفة المبتكر الخاصة باللغات، وخاصة الألمانية. وهكذا، لا يوجد سوى فعل واحد يترجم "فعل الكينونة"، وبالتحديد *Sein* ولكن هناك فعلان لـ "يعتني": *flegi* من الألمانية *pflegen*" يعتني بالمريض" و varti من الألمانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

warten "يعتني بالأطفال"، وسيجد متكلمو لغات غير لغات SAE صعوبات جمة في تعلم مثل هذه المفردات الخاصة بثقافة محددة.

سيوضح اختيار حقل دلالي بمفرده،على سبيل المثال، مصطلحات اللون، ومقارنة الاسبرنتو مع لغات مصطنعة أخرى هذه النقطة بجلاء. تظهر نتائج الدراسات العديدة على أنظمة اللون في اللغات الإنسانية (لخصت، على سبيل المثال، في بيرلن وكي & kay 1969 Berlin) أنه: (أ) يمكن للغات الإنسانية أن تختلف بشكل كبير في عدد فروقات اللون التي يمكن أن تضعها في مفرداتها المعجمية، و(ب) لا تسمح اللغات الإنسانية بوجود سوى عدد صغير جداً من التجميعات الممكنة رياضياً من مصطلحات اللون و(ت) هناك فروقات لونية محددة أهم بكثير من غيرها. ويعني ذلك بالنسبة لتركيب لغة عالمية مساعدة أنه ينبغي على المرء أن يعمل وفق المقدمة المنطقية في أن الألوان التي يتصورها الإنسان مفهومة لكل إنسان ستشمل الأسود، والأبيض وربما الأحمر فقط. و لكن لو ناقش المرء مقترحات موجودة عملياً، فسيجد صورة مختلفة تماماً على أيةِ حال.

يبدو أن لدى الاسبرنتو (وفق ويلز Wells 1969) اثني عشر مصطلحاً أساسياً للألوان. بما في ذلك الخُبّازي (البنفسجي)، والأرجواني، والقرنفلي،و والرمادي والبني، ويعكس هذا الأخير نزعة ألمانية لتسمية الألوان الحمراء - الداكنة. ومما لا يثير الدهشة أن البني هو أحد ألوان فولابك لشييلر (1885) مع أحد عشر لوناً أساسياً آخر بما في ذلك الأرجواني، والقرنفلي، والرمادي والبرتقالي. إلا أن الألوان البني والقرنفلي والأرجواني غائبة في "لنغوا" Lingua (1888) لهندرسن Henderson حيث لا يمكن العثور إلا على ستة ألوان رئيسية (الأسود، والأبيض، والأحمر، والاخضر، والأصفر والرمادي).

ويغيب اللون البني من لغة "فراتر" Frater (Thai 1957) على الرغم من حقيقة أنه لون أساسي في اللغة الأم (الفيتنامية) لمبتكر هذه اللغة .إن إقحام مصطلح لون أساسي آخر في هذه اللغة وهو *klor* الأصفر - المخضر ربما كان حالة من التصحيح المفرط أو التعويض الزائد عن غياب التمييز بين الأزرق - الأخضر أو الأصفر - الذهبي في الفيتنامية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نخلص من هذه الاعتبارات إلى أن تسمية لغة عالمية مساعدة باللغة الزرقاء (la langue Bleue) ليس أمراً لائقاً تماماً، ناهيك عن معضلة أن السماء، التي من المفترض أن تمثل حدود هذه اللغة القصوى، تميل لأن لا تكون زرقاء في بعض أصقاع العالم الاستوائي، ولكن بيضاء متوهجة نوعاً ما.

إلا أن التمركز العرقي الدلالي لم يكن أحد أسباب التصدع الناشيء في حركة الاسبرنتو؛ بل إن قدر الاسبرنتو الأخير،كما هو الحال في فولابك، اتسم بهوة واسعة بين أولئك الذين يفضلون اللغة الأصلية أو نسخة معدلة منها بشكلٍ بسيط وأولئك الذين ينادون بتغيرات جذرية . وبدأت الهوة بتأسيس "وفد لاعتماد لغة مساعدة عالمية" عام (١٩٠٠) المؤلف من مجموعة من العلماء الأكفاء بما في ذلك اللغوي جيسبرسن . وبعد مناقشة مستفيضة لعدد كبير من اللغات (نوقشت مفصلّة في جيسبرسن ١٩٢١) قلصت الخيارات لتشمل الاسبرنتو وإيديوم نيوترال Idiom Neutral، وتلك لغة صممتها مجموعة تخلت عن حركة فولابك في عام (١٩٠٣). وفي مرحلة لاحقة، قُدمت "إيدو" Ido بالإجماع، وهي لغة مصطنعة مشتقة من الاسبرنتو، ولاقت ترحيباً ونالت تقدير الوفد. واعتمد القرار النهائي بتبني الاسبرنتو مع عدد من الإصلاحات وفق مقتضيات إيدو، وذلك قرار لم يقبله العديد من معتنقي الاسبرنتو. وبدورها، فقد خضعت إيدو لعدة تحسينات وتغيرات؛ واقترح ريني دي سوسير Rene de Saussure لغة تسمى "الاسبرانتيدو" Esperantido. و لم تستطع أي من هذه اللغات المشتقة من الاسبرنتو أن تفوق الانتشار الأوسع لنسخة الاسبرنتو الأصلية التي تبقى اللغة المصطنعة الأوسع انتشاراً، ويرى بعضهم أنها ستكون لغة السوق الأوروبية المشتركة المستقبلية.

أثّرت الحرب العالمية الأولى في حركة اللغة المصطنعة بعدة طرق. أولاً، استخدم كل من الألمان والمجموعات الفرنسية اللغات الموجودة في دعايات الحرب وخاصة الاسبرنتو، وثانياً، أدت هذه الحرب إلى تطوير لغات لاحقة مشتقة من لغات قومية بمفردها. وتم الإحساس بالحاجة إلى لغة يمكن أن تقوم بوظيفة التعاون الدولي بعد الحرب بشكلٍ أكبر، ومع ذلك الوقت تبلور عدد من المبادىء والنشاطات العملية في صناعة اللغة المصطنعة، بما في ذلك:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ. تُفضل اللغات *اللاحقة* على اللغات *الأولية* .

ب. يجب الدفع بمفهوم الطبيعيّة (لم يُعرّف جيداً بعد) إلى الأمام قد المستطاع .

ت. يجب أن تصمم اللغة لأن تكون للعالم برمته وليس حصراً على الفئة المثقفة من أوربا الغربية .

ث. ويجب على الحل أن يكون نتيجة عمل فريق وليس جهد شخص بمفرده .

ج. ويجب أن تتولى مسؤولية تنفيذ القرار سلطة دولية مثل عصبة الأمم .

تم توضيح النقطتين الأوليتين من خلال ميل متزايد لتفضيل حلول موجودة في اللغات الإنسانية الحية بدلاً من الحلول المبتكرة، حتى ولو على حساب تقليص درجة الانتظام. أما النقطة الثالثة (ت)، فلم تطبق على نطاقٍ واسع، على أيةِ حال، لأن معظم اللغويين الذين اهتموا بتحسين أو ابتكار أنظمة مصطنعة استمروا في كونهم من ناطقي لغات SAE وبتجربة محدودة للغاية حول اللغات أو العائلات اللغوية الأخرى. كما تجلى أيضاً في غياب فهم الآليات اللغوية الاجتماعية الضرورية للتواصل عبر اللغات والثقافات المختلفة. ووُجه هذا النقد تقريباً لكافة اللغات التي تَلَت الاسبرنتو وايدو، مثل لغة Latino sine Flexione لبينو Peano (1908) ، و Novial لجيسبرسن Jespersen (1928)، والإنجليزية الأساسية لريتشارد Richardو وأغدن Ogden (1931). ومن بين الإستثناءات القليلة، نجد Interglossa لهوجبن Hogben (1943) التي تجمع بين مفردات يونانية وقواعد بناء صينية، و Lingua SistemFrater (الأخ) (1957) لثاي Thai. ومن بين كافة الأعمال المذكورة آنفاً ، يجب تمييز الإنجليزية الأساسية بوصفها أنموذجاً خاصاً، لأننا نرى في هذا الشكل المختصر من الإنجليزية أن لفظ الإنجليزية وقواعدها وتهجئتها بقيت سليمة كما هي تماماً، وتمثل التغير الأساسي بجرد مفردات معجمية بحرص كبير لا تتجاوز 850 مفردة. ولذلك يمكن لهذه اللغة أن تحقق الوظيفة المزدوجة في أن تكون لغة عالمية مساعدة ولغة انتقالية في اكتساب الإنجليزية كلغة ثانية.

يرتبط فشل معظم الاقتراحات المتعلقة باللغة المساعدة ببصائر الأفراد المحدودة وضعف سلطتهم. وهكذا، نجد أن قرارات على غاية في الأهمية مالت لأن تؤخذ في هيئات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دولية، وأن واحداً من أكبر المقترحات اليوم Inter Lingua، هو عمل فريق من العلماء(بما في ذلك جيسبرسن، وسابير، ومارتينه وسوادش) ينتمون إلى جمعية اللغة المساعدة الدولية .

أما معضلة التطبيق فهي الأصعب في نشر أي نمطٍ من الإبداعات اللغوية. ما نحتاجه يتمثل في التالي: (أ)السلطة (ب) أسباب توضح لماذا يجب قبول مثل هذه الإبداعات (ت)مصادر مالية كبيرة. كان لدى الاسبرنتو قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى هذه المزايا كافة، رغم أن الدكتاتورية الجديدة التي تلت الحرب جعلت انتشار الاسبرنتو وقبولها أمراً أكثر صعوبة. أما الدعم من منظمات مثل عصبة الأمم والأمم المتحدة للغات الدولية فكان حذراً للغاية عبر السنين، حتى أن المقترحات الأكثر محلية كتلك التي تنادي بلغة أوربية مشتركة(Eurolengo، جونز Jones, 1973) لم تلق سوى دعم قليل للغاية.

ويقترح العمل الحديث حول اللغويات - الاجتماعية أن قبول لغة ما هو نتيجة وجود مجموعات من الناس تألف بعضها بعضاً وترغب في وسيلة تواصل مشتركة. وسبب آخر لرغبة الناس في تعلم لغات للتواصل فيما بينهم، وخاصة لغات هجينة محددة أو لغة مشتركة مماثلة، هو أنهم يتوقعون مكافآت اقتصادية. وطالما أن أعضاء المجموعة البشرية العالمية يستطيعون كسب المزيد من المنفعة (في معان متعددة للكلمة) من تعلم لغات مثل الإنجليزية أو الفرنسية فإن فرص انتشار أو تعلم الاسبرنتو، والانترلنجوا أو أنظمة مشابهة تبقى ضئيلة.

٦. هندسة لغوية ساذجة (بسيطة)

تم تمييز شكل من أشكال الهندسة اللغوية لم يكن معروفاً حتى الآن في لغات التجمعات الصغيرة التي غالباً ما تكون جاهلة (غير ملّمة بالقراءة والكتابة) وهو تأثير الأشخاص أصحاب النفوذ على كلام المجموعة السكانية برمتها. يمكننا أن نسمي مثل هندسة اللغة هذه بـ "البسيطة" بمعنى أنها لا تتقدم وفق خطة شاملة، ولا تهدف بالضرورة إلى أية تحسينات أو تطويرات للغة ؛ وغالباً ما يكون مجرد التغير كافياً. ويبدو أن الأهداف الأساسية تتمثل في الحاجة لتمييز مجموعة لغوياً عن كافة المجموعات الأخرى. ونادراً ما دُرس هذا الحقل اللغوي أو بُحث ؛ وتأتي بعض من المعلومات المتوفرة (ليكوك 1982 أ.ب) من منطقة غينيا الجديدة، حيث نجد المجموعات اللغوية الصغيرة المفيدة للدراسة. ويبدو أن الحجم الأكبر للجماعة اللغوية التي يمكن للفرد أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يبسط نزواته اللغوية عليها، بدون المساعدة من أي شكل من وسائل الإعلام، هو حوالي ٨٠٠٠ فرد، لأن ذلك يمثل الحجم الأكبر الذي يسمح لشبكة يكون فيها كل متكلم معروفاً لكل متكلم آخر، أو يكون في صلة قرابة معينة مع متكلم آخر معروف. وفي مثل هذه التجمعات، يمكن للنزوات اللغوية "للرئيس" أو "الرجل القوي" أو أي فرد قوي آخر أن "تغطي" المجموعة برمتها؛ وفي التجمعات الأكبر، تنتشر التغيرات اللغوية الجديدة على شكل موجات فقط، ولا تصل إلى الأطراف البعيدة.

ويبدو أن مثالا كلاسيكياً عن مثل هذا التغير اللغوي الذي يتأتى عن طريق الإنسان هو الصيغ المقلوبة في لغة مثل ريريو Ririo، في جزر سليمان (ليكوك ١٩٨٢. أ) التي تتناظر مع الصيغ غير - المقلوبة في اللغة المجاورة الوثيقة الصلة بها وهي لغة باباتانا Babatana. ويمكن رؤية الدليل من أن مثل ذلك الاختلاف لا يسببه تغير لغوي منتظم من حقيقة أن متكلمي ريريو يبتكرون صيغاً مقلوبة جديدة من كلمات مستعارة لم تدخل إلى اللغة إلا بعد أن تأسست الصيغ المقلوبة بشكلٍ جيد - على سبيل المثال، نجد في ريريو كلمة ki*as* و *kesa* في لغة باباتانا المستعارة من الإنجليزية " cash" بمعنى "نقود".

وهناك حالة أوضح من ذلك وهي لغة بوين Buin؛ وتلك لغة يتكلمها حوالي ١٧,٠٠٠ شخص في شمال جزر سليمان في مقاطعة بوبا غينيا الجديدة. ويتكلم أقل من عُشر السكان لهجة متميزة تماماً تسمى أوسيا Uisai. لدى هذه اللغة عدة مئات من الصيغ القواعدية (أسماء الإشارة، والضمائر، وأدوات الإشارة) تُظهر تميز الجنس بين المذكر والمؤنث، من خلال ثلاثة أعداد (المفرد، والمثنى والجمع). وعكست كل هذه الصيغ قطبيتها في لهجة أوسيا، أي: كل الصيغ التي تشير إلى "المذكر" في اللهجات الأخرى تشير إلى "المؤنث" في الأوسيا و بالعكس. ولا يوجد مكان، في مثل هذه الحالة، للآليات الطبيعية من التغير اللغوي البطيء، لأن التغير ينطوي على"تغير مفاجيء" في فئتين متعاكستين، المذكر والمؤنث.ومثل هذا التغير مشابه للتغير في السويد من قيادة السيارة على الجانب الأيسر إلى الجانب الأيمن من الطريق ؛ يجب إنجاز التغير حالاً. ويتمثل أكثر الشروحات عقلانية لمثل ذلك التغير اللغوي – على الرغم من أن ذلك ليس موضوع بحث مباشر الآن، في أن شخصاً مهماً ما في مجموعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوسيا أعلن مرة شيئاً من هذا القبيل "من الغد لن نتكلم مثل متكلمي بوين، سنقول "هو" بدلاً من "هي" وهكذا دواليك. وبمجرد اعتماد التغير، سيكون صعباً في البداية للمتكلمين الكبـــار، ولكن سرعان ما يصبح ذلك أمراً طبيعياً للأجيال اللاحقة، وعلى مدى جيل واحد، ســـتكون هناك مجموعة جديدة من المتكلمين تكون تلك الصيغ من الكلام هي الصيغ الطبيعية بالنسبة لها.

وبما أن كلاً من حالة ريريو وحالة Buin تنطوي على التغير بين عنصرين – تبـــديل موقع الصامت الأخير بموقع الصائت الذي يسبقه في حالة ريرو وتبديل المذكر بالمؤنث في حالة بوين - يبدو من المعقول أن نفترض أنه يمكن التعبير عن إحدى آليات التغير اللغوي الكبرى، سواء كانت واعية أو غير واعية، وفق شروط تبادل التقابلات الشطرية. هناك، بالتأكيد، دليل كاف من أخطاء الكلام وعلله ، ومن تبادل العناصر، مثل التجمعات الصامتية الواقعة في بداية الكلمة كما في السبونرية/التبادل الصوتي (*town drain* بدلاً مـــن *down train*)، أو ظـــاهرة "الكلام المتضاد" (*أسود* بدل *أبيض*) بين المصابين بانفصام الشخصية. وغالباً ما قيل عن لغات سرية تنطوي على "كلام متضاد"، ومثال كلاسيكي هو لغـــة Walbiri (هيـــل Hale 1971). فليس من المدهش، إذاً، أن يستغل التغير اللغوي البسيط أو الساذج آلية تبدو أنها قريبـــة مـــن سطح إدراكنا اللغوي العادي.

ما زالت هندسة اللغة الساذجة قيد البحث، ولكن يتوقع أن يزودنا البحث اللاحق حول اللغات الممنوعة واللغات السرية ببصائر حول آليات تغير اللغة، واســـتراتيجيات لرفـــع مستوى اللغة، ستكون مفيدة بالتأكيد في دراسة الصيغ الأكثر تعقيداً من هندسة اللغة.

٧. السمو باللغة/ارتقاء اللغة

يشير مصطلح "السمو باللغة/ارتقاء اللغة" إلى نشاطات من التخطيط تختلف في عدد من الطرق عن تلك التي نوقشت حتى الآن وتتضمن:

أ. يهدف التخطيط للسمو باللغة لغات إنسانية حقيقة والتي ما تزال اللغة الدارجة لمجموعة سكانية كلامية حقيقية ، أو أنها كانت كذلك كما في اليهودية/العبرانية المستخدمة في إسرائيل اليوم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب. تتم المحافظة ، عادةً، على مستوى متواضع للغاية من هندسة اللغة، وإن مثل هذه التغيرات *اللاحقة* التي تُقدم لا تؤثر على مستوى الفهم والاستمرارية بشكلٍ كبير.

ت . يُمارس التخطيط بشكلٍ أنموذجي لأداء بعض الوظائف، وفي بعض المجالات وأجهزة الإعلام فقط. ولا تتأثر به اللغة الدارجة إلى حدٍ كبير.

ث. ينطوي السمو باللغة، عادةً ،على خلق لغات قومية وليس خلق لغات بغرض تحقيق التواصل الدولي أو التواصل عبر الثقافات .

يظهر السمو باللغة في مجالين: (أ) المجال الاجتماعي، حيث يجري تخطيط رسمي لدعم مكانة اللغة الدارجة من أجل السمو بها و(ب) المجال التركيبي/البنيوي، على هيئة تخطيط متن لغوي كبير. ويمكن تقسيم تخطيط المتن بدوره إلى علم الكتابة (تطوير أنظمة كتابة مناسبة)، والمعّيرة (تنظيم الأنماط القواعدية والتخلص من التنوع في القراءة) والتحديث (تطوير اللغة بما يتلاءم وحاجات المجتمع الحديث/المتطور). تعود بدايات السمو باللغة بالمعنى المستخدم هنا إلى التغيرات التكنولوجية كالطباعة، والتغيرات السياسية مثل تطوير مفهوم الدولة الأمة. يمكن التعبير عن العلاقة بين اللغة والوسيلة التي تطورت اللغة من خلالها بصورة عامة على النحو التالي:

أ. يمكن للمجتمعات الأمية (التي لا تعرف القراءة ولا الكتابة) أن تسمح بلهجات قليلة العدد وبتنوع لهجي كبير.

ب. تفضل المجتمعات المتعلمة الكتابة باللغات القياسية مع تغير لهجي بسيط .

ت. تفضل وسائل الإعلام الإلكترونية مثل المذياع والتلفاز لغات أكبر وبتنوع داخلي بسيط.

ث. يدعو الحاسوب إلى لغة كبيرة واحدة أو مجرد عدد قليل من هذه اللغات.

وأكثر من ذلك، فإن وجود دول كبيرة لا يشجع وجود لغة بمفردها في غياب حكومات مركزية قوية. وهكذا، فإن وجود عدة لغات ضمن حدود الدول الكبيرة جعل سياسية *فرق تسد divide et impera* ممكنة في إمبراطوريات العصور القديمة. إن ظهور اللغات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القياسية المكتوبة غداة اختراع الكتابة يوضحه المثال الألماني، حيث شجعت عدة جمعيات لغوية مكانة الألمانية *مقابل* اللاتينية منذ نهاية القرن السادس ومابعده، ومن ثم شجعت النقاء اللغوي للغة الألمانية نفسها. إن طبع قواعد شوتل Schottel عام ١٦٤١ أنجز الاعتراف بوجود لغة ألمانية تجمع عدة أقاليم. إلا أن القبول العام وانتشار الصيغ الألمانية المحكية المتعلق بـ "Schriftsprache"، لم يحدث حتى القرن التاسع عشر مع استقدام التعليم الإلزامي ، وخلق أمة موحّدة. وتظهر التطورات في إيطاليا تشابهات مماثلة تماماً كما هو الحال أيضاً في بعض دول الأمم الأحدث في العالم الثالث مثل ماليزيا وإندونيسيا. وهناك دراسات طولانية توجد في لي بيج Le page (طبع عام 1968)، وهو أحد الأعمال القليلة التي نوقش فيها موضوع السمو باللغة في إطار تطوره التاريخي. ويتمثل عامل التوحيد الرئيسي باعتماد قرارات *عشوائية*، وغير فعّالة وحلول مكلّفة للغاية، والافتقار لمنهج واضح المعالم. واستمر في عدد كبير من الحالات تنفيذ السمو باللغة بطريقة عشوائية حسب رغبة نزوات السياسيين ومجموعات الضغط الاجتماعية بدلاً من اتباع نصيحة المختصين بتخطيط اللغة واللذين أسسوا دعائم منهجهم في السنوات القليلة الماضية. إن الخطوط العريضة التالية لحالة مثالية للسمو باللغة لا تعكس الحقيقة اليومية إلا بصعوبة بالغة الآن. ورغم ذلك، يبدو من المفيد أن نجمع عدداً من النتائج الهامة من العمل الحديث في هذا الحقل.

يجب أن نرى أن عملية السمو باللغة تتألف من المراحل الأربع الأساسية التالية :

أ. تحديد المشكلة .

ب. تطوير مقترحات ملموسة .

ت. تقييم المقترحات .

ث. التنفيذ

هناك بعض الفروقات المتعلقة بالمصطلحات وجوانب التوكيد. يميز هوجن Haugen (1922) على سبيل المثال، المراحل التالية: (أ) اختيار المعيار و(ب) التقعيد و(ج) التنفيذ و(ث) التطوير والتشذيب. تنطوي مرحلة تحديد المشكلة على تشخيص ما هو خطأ في كل من أنماط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التواصل على مستوى الأمة والاستجابات البنيوية في اللغة الدارجة التي اختيرت لتعمل بوصفها لغة قومية. وتضم المبادىء التي يتم اللجوء إليها، عادةً، لتقييم الحالة الآتي:

أ. الكفاية المرجعية: أي، "مقدرة اللغة على تلبية حاجات مستخدميها بوصفها وسيلة للدلالة المرجعية" (هوجن ١٩٦٦ :٦٢) ؛

ب. الكفاية المنتظمة: أي، يجب تركيب اللغة بشكلٍ تكون فيه قواعدها عامة وطبيعيّة ما كان إلى ذلك سبيلاً ؛

ت. القبول: أي، يجب على غالبية المجتمع أو غالبية أي مجموعة فرعية فيه أن تتبنى الشكل المقترح.

وهناك اعتبارات أخرى تتبع هذه الاعتبارات الأولية منها: عذوبة الصوت، والاختصار والانسجام بين الشكل والمعنى وجميعها قد ذكرت ونوقشت في تولي Tauli (١٩٦٨: ٣٨ وما يليها) .ومن بين هذه الاعتبارات، يتعلق مبدأ القبول مباشرة باختيار الصيغة أو الشكل. وينطوي هذا الاختيار على تحديد لغة دارجة واحدة أو أكثر من لغات مجتمع متعدد اللغات كلغة قومية، أو لهجة مناسبة في مجتمع أكثر تجانساً لغوياً. وفي أي من الحالتين،تطغى عوامل الضغط السياسي والهيمنة على الموضوع. ومن حيث المبدأ، يمكن لمختاري الرمز أن يتبنوا واحدة من استراتيجيتين:إما أن يتبنوا الرمز المرتبط بالمجموعة الأقوى أو العدد الأكبر، أو أن يسموا بلغة دارجة تتكلمها مجموعة صغيرة لا حول لها ولا قوة. وتوضح أمثلة مثل الفرنسية (معتمدة على ضرب يستخدم بالقرب من باريس) والتركية اختيار الرمز القوي. وفي هاتين الحالتين، تم بسط القوة مع مرور الزمن على اللهجات غير القياسية أولاً، ومن ثم على اللغات المستخدمة ضمن حدود الدولة فيما بعد. وأمثلة عن لغات صغيرة أو غير قوية اختيرت كلغة الدولة هي الفلبينية، حيث ارتكزت اللغة القومية فيها على لغة لوزن Luzon الوسطى المعروفة بالتاغالوجية Tagalog، ولغة بسلاما Bislama في فانوتا Vanuata ،وهذه الأخيرة هي إنجليزية هجينة رُقيّت فيما بعد لتصبح اللغة القومية بعد الاستقلال. وفي كلتا الحالتين، يبدو أن الخيار لاقى قبولاً واسعاً. وأُعطيت الصيغ الهجينة من الدارجة مكانة رسمية في حالة السواحيلية (في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنزانيا) وسانجو (جمهورية أفريقيا الوسطى) (ولشرح معاني اللغة المشتركة، واللغة الخليط، واللغة الهجينة، راجع الملاحظة بعد قائمة المراجع في نهاية الفصل ٢٦ القادم).

يمكن لاختيار الرمز أن ينطوي على أكثر من لغة واحدة. وبناءً على ذلك، نجد أن عدداً من الأمم الباسفيكية الجديدة قد حددت عدداً من اللغات بوصفها لغات "رسمية"، إحداها ،في الحالة المثالية ، لغة المستعمر السابق وواحدة أو أكثر من اللغات المحلية (الإقليمية)، وغالباً ما تعطى هذه اللغات تسميات أو مكانات مختلفة مثل: "اللغة الرسمية"، أو "اللغة القومية"، أو "لغة البرلمان". إن السمو بمكانة بعض اللغات أو الضروب اللغوية يدفع بمكانة اللغات الأخرى نحو الانحدار . ويظهر هذا بجلاء حيث :(أ) تصبح الأنظمة اللغوية المستقلة سابقاً أنظمة فرعية في القياسية؛ حيث أصبحت البافارية، على سبيل المثال، لهجة من الألمانية و(ب) تتقيد وظيفياً بقضايا إقليمية خاصة و(ت) يقع الموت الحتمي للغة الأضعف بعد فترة قصيرة أو طويلة من الثنائية اللغوية غير المتكافئة،. وتوضح أمثلة موراي Maori ولغة هاواي Hawaiian أنه حتى لغات الغالبية من السكان لا يمكن أن تعيش في مناخ سياسي لا يؤّمن فرصاً متكافئة.

أما تقرير الكفاية المرجعية للغات فقد أصبح صعباً من ملاحظة أن اللغات لا تشير إلى مجموعة ثابتة من الكينونات المؤسسة مسبقاً في العالم الحقيقي، بل إنها تفرض شبكة مرجعية على ما يسمى بالواقع. ولذلك، فليس من الواضح كم يجب أن يكون عدد المفردات المعجمية في اللغة المناسبة تماماً. وأكثر من ذلك، لا تُقرر درجة المناسبة/الكفاية إلا بالمقارنة مع أرضية الاستخدام الوظيفي التي يقوم بها المتكلمون تجاه لغة وخاصة في مجتمعات ثنائية اللغة أو متعددة اللغات. وبشكل عام، تقرر درجة التغير الاجتماعي والتكنولوجي في مجموعة سكانية ما درجة تكيّف أو تطويع المصادر المرجعية مع متطلبات التواصل. وتكون الهوة بين ما تحتاج اللغة الإشارة إليه وما يمكنها الإشارة إليه حقاً أعظم بكثير في أوقات التغير السريع أو الاضطرابات العنيفة، مثل تحديث المجتمعات على نمط الحياة الغربية. إن أهمية تخطيط متن المفردات المعجمية في مثل هذا السياق قد أكده عدد من الباحثين (على سبيل المثال، تولي Tauli ١٩٦٨ و ورم Wurm، وموهليسلر وليكوك 1977).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتشير الكفاية النظامية إلى الحد الذي تتبع فيه اللغات قواعد منتظمة، أو، لنضعها بصورة مختلفة،إلى الأهمية النسبية للقواعد والمعجم. وتتزع اللغات القديمة، خاصة تلك التي استعارت من أنظمة أخرى أو التي استخدمت في وظائف خاصة (مقصورة على فئة قليلة أو لأغراض سرية) إلى أن تكون مليئة بالاستثناءات والتعجيم*. وفي حين يمثل ابتكار كفاية مماثلة هدفاً أكبر عالمياً في هندسة اللغة، إلا أن هناك قيوداً خارجية معينة، وخاصة تقييم المزايا الإيجابية النسبية لصياغة كلمات محلية مقابل استقراض مفردات عالمية مقبولة على نطاق واسع (راجع روزاريو Rosario 1968). ويتمثل قيد داخلي، نوقش آنفاً في مجال اللغات *اللاحقة*، في الصراع بين الانتظام اللغوي والطبيعيّة اللغوية. وبشكل عام، لم يول العاملون في حقل السمو باللغة الجانب الثاني الاهتمام الكافي.

مال تطوير مقترحات ملموسة في الماضي لأن يكون نتاج شخص بمفرده، أو عمل مجموعة صغيرة من مصلحي اللغة المتطوعين، مثل افيك Aavik في ايستونيا أو أيسن Aasen في النرويج. أما في بلدان العالم الثالث، فغالباً ما قام المبشرون بالسمو باللغة وهندستها بمفردهم. وإحدى أفضل اللغات المشتركة للبعثات التبشيرية في غينيا الجديدة، هي اللغة البابونية "كيت" Kate التي تشتق معظم تراكيبها الحالية من الجهود القواعدية والمعجمية للمبشر الألماني بلهوفر Pilhofer وحده؛ وتمثل النسخة القياسية من لغة سانجو Sango في أفريقيا الوسطى حالة مماثلة. وشاركت لجان من الأساتذة واللغويين والسياسيين في السمو باللغة التركية تحت حكم أتاتورك في الثلاثينيات من هذا القرن وكذلك الكاثاروفيسيه Katharevousa اليونانية في القرن التاسع عشر. وكان الأساتذة والسياسيون وراء السمو بلغة البهسة في أندونوسيا أيضاً.

* التعجيم : عملية إدخال المفردة ، أي البند المعجمي ، إلى اللغة وذلك بإحدى الوسائل المعروفة، كالاشتقاق ("تحجر" من حجر) والنحت (بسمل) والاقتراض (ديوان) أو دمج معنيي كلمتين في واحدة (اعذر = سلب العُذر ؛ أقرد = أزال القُراد) . البعلبكي رمزي ، 1990 ص282

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن حقل البحث الذي تم فيه معظم العمل هو المعجم ، وخاصة ابتكار مـــصطلحات وتنظيم عمليات صياغة أو تشكيل الكلمات. ويمكن رؤية الفعل التزامني لكلتـــا العمليـــتين في الأمثلة التالية من الفلبينية (نوقشت في روزاريو 1968):

الإنجليزية	الفلبينية	أصول الكلمات
عدد (numeral)	Pamilang	bilang (عدد) + pang (بادئة وسيلية)
عدد صحيح (integer)	buumbilang	bilang (عدد)+ buo (كل)
كسر (fraction)	bahagimbilang	bilang (عدد)+ bahagi (part جزء)
بسط (numerator)	panakda	takda (جدول، مخطط+ pang (بادئة وسيلية)
قاسم مشترك (denomimator) pamahagi		bahagi (جزء) + pang (بادئة وسيلية)

و هناك مثالٌ آخر تعرضه مقترحات زيادة الكفاية المرجعية لتوك بيسن Tok pisin في حقل اللغويات الوصفية (ناقشها ورم وموليسلر وليكوك 1977). فعوضاً عن استعارة صـــفات من لغات خارجية (على سبيل المثال، *blain* "أعمى" مشتقة مـــن الإنجليزيـــة blind أو *hepi*، "مسرور،" من الإنجليزية happy)، تم الاقتراح بأن توسع آلية لاشتقاق كلمـــات موجـــودة في اللغة لتغطي حالات جديدة. وهكذا تم استغلال حقيقة وجود تراكيب قواعدية مثل

ai i pas"العين محجوبة أو معطلة عن الرؤية" التي تمتلك مركباً معجميـــاً منـــاظراً مسبقاً (*aipas*، أعمى) في صياغة صيغ جديدة مثل:

شَرِهٌ، سعيد	belgut
مكسور الرجل	lekbruk
مصاب بالإمساك، مقبوض	belpas

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تتمثل المهمة الأساسية لمخططي المعاجم في تقديم الشروحات الممكنة أي: تسريع التوجه الذي يمكن تقريره عندما يُقرن مثل ذلك التخطيط بفهم التطورات الطولانية في مكون صياغة الكلمة في اللغة (كما في الأمثلة الآنفة الذكر من توك بيسن Tok Pisin).

وتنطبق المبادىء نفسها على جوانب التخطيط الأخرى. إن فهم التطور سيهدي المخططين إلى اعتماد تلك الحلول ذات أقل التأثير التعطيلي على النظام والفرصة الأكبر في أن تكون قابلة للتعلم لدى المتكلمين وتنال قبولهم. ويحتوي بيلي Bailey 1975 على مناقشة للرغبة النظرية في إقامة أسسٍ لغوية لمعالجة التمثيل الكتابي والحقول الأخرى في تخطيط المتن اللغوي. ويبدو أن أنموذج بيلي للتنوع المنظم يقدم الفرصة الأكبر للتخطيط المنظم، وخاصة أنه يولي اعتبارات الطبيعّية اهتماماً خاصاً. وحقيقة أن العديد من مخططي اللغة، وخاصة في الماضي وفي بعض بلدان العالم الثالث، قد تلقوا تعليمهم في إطار ثابت جامد من الوصف اللغوي يعني أن جهودهم قد وُجهت نحو تعبئة فجوات مفترضة في نظام جامد بدلاً من التوجه نحو فهم التوسع الطبيعي. يهتم تقييم المقترحات بالاعتبارات التي ذكرت للتو بالإضافة إلى تلك التي ذكرت آنفاً في هذا القسم. أما على أرض الواقع، فنادراً ما تم تقييم المقترحات المتنافسة من خلال طريقة منظمة. وبالنتيجة، بقيت الحلول في معظم جوانب اللغات التي خضعت للترقية *عشوائية*. ويبدو أن أفظع العيوب كانت في إجراءات لتقييم التأثير غير الموضعي للتغيرات الموضعية (على سبيل المثال، ربما كان لتقديم معجم مستعار أصداء خارج المعجم، في الفونولوجيا وعلم التراكيب/النحو). ومرة أخرى، يعرض منهج بيلي التطوري أنموذجاً مناسباً لأنه مصمم لاكتشاف علاقات استتباعية بين عمليات مختلفة في أقسام مختلفة من القواعد.

ينطوي تطبيق مقترحات السمو باللغة على اعتبارات تتعلق بالقوة السياسية وضبط وسائل الإعلام وقيود على تعلم الأطفال للنظام المقترح. ويكون الاعتبار الأخير ذا أهمية قليلة إذا كانت اللغة ستُستخدم أساساً في شكل مكتوب وبين نخبة ممتازة من المثقفين والمتنورين (والعديد من اللغات المبرمجة قد صممت لمثل تلك المجموعات). ويبدو أن ضبط الدولة للعملية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التربوية ووسائل الإعلام ذات العلاقة بالموضوع ودعم اللغة المترقية كمؤشر للحركة نحو الأعلى والقوة يفي بالغرض. ولكن من الناحية الأخرى، إذا ما صممت اللغة للعامة من الكبار والأطفال الصغار، عندئذ، تصبح الاعتبارات المتعلقة بالطبيعية ودرجة القبول على غاية كبيرة من الأهمية. ويوضح النجاح القليل للغات مثل الغالية الايرلندية Gaelic ذلك، وكذلك الحال بالنسبة للتغيرات التركيبية العديدة التي أصبحت ضرورية في اليهودية/العبرانية الحديثة، لأن أعداداً أكبر وأكبر من الأطفال الإسرائيليين قد تبنوها بوصفها لغتهم الأولى.

٨. الخاتمة

ما زالت الدراسة المنتظمة لهندسة اللغة في كافة صورها في المهد. وعلى الرغم من الوجود العالمي تقريباً لتدخل إنساني مقصود في هذه اللغات، فإن هذا العامل قد أُعتبر هامشياً بالنسبة لاهتمامات اللغويات في كل من فقه اللغة المقارن التقليدي؛ حيث يرى أنه بالإمكان مقارنة اللغات مع أعضاء حية أخرى، والمناهج الأكثر حداثة مثل القواعد التوليدية التحويلية حيث تعتبر "اللغات الحية" أيضاً مركز الانتباه. وليس من قبيل المصادفة أبداً أن يكون أولئك اللغويين الذين انصب جل اهتمامهم على اللغات المصطنعة وتخطيط اللغة، مثل شوكاردت، وجيسبرسن – وسابيير وفي الآونة الأخيرة، بيلي ولغويون يعملون على التنوع اللغوي، هم أنفسهم الذين رفضوا فكرة أن اللغات هي أنظمة مغلقة تامة بذاتها، وأن تغيرها تحكمه قوانين طبيعيّة. ولسوء الحظ، فإن تخطيط اللغة برمته قد ارتكز على هذا التصور بالذات. وأن درجة الجمود في معظم الأنظمة *الأولية* لم يتم زحزحتها في معظم اللغات *اللاحقة*، وتعاني عدة حالات من السمو باللغة من نقص في اعتبارات تتعلق بالمرونة والتكيّف. وأكثر من ذلك، فغالباً ما تم إساءة فهم العلاقة الكائنة بين الأعباء المعرفية (الفكرية/الإدراكية) وغير المعرفية في اللغات الإنسانية أو أنه تم تجاهلها ببساطة في كافة الحالات التي عرضها هذا البحث تقريباً.

ما زالت هندسة اللغة حتى الأن، بشكلٍ أو بآخر، قضية عشوائية، وغالباً ما كانت مثل تلك النجاحات التي تحققت ذات كلفة غالية جداً. وبناءً على ذلك، فليس من الواضح تماماً إن كان تقليص عدم التجانس اللغوي ليس له ثمن بما في ذلك فقدان فلسفات بديلة وحلول، أم أن تكلم اللغة نفسها سوف يعزز فهماً أفضل بين الناس. إن أهمية الحاسوب في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العديد من مجتمعات اليوم يمكن أن تمنح فرصة حياة جديدة لبعض شوائب الماضي أو عيوبه ؛ وإن اللغات التي يستطيع الحاسوب التعامل معها هي أنظمة مغلقة بشكلٍ أنموذجي (أي:تحكمها قواعد ثابتة وليس قواعد متغيرة)، وتفترض الترجمة الآلية رؤية ترتكز على وجود مسميات للأشياء في العلاقة بين اللغة والعالم، وقد صُممت الحاسوبات لتتناسب مع الوظائف الإدراكية للغة (وليس أيّ لغة). وبالطبع، فإن تخطيط اللغة لأغراض تقنية، كما هو الحال في اللغات الفرعية في الاتحاد السوفيتي (السابق) (موسكوفيش Moskivich ،١٩٨٢) له مكانته. إلا أن لعبة الشطرنج أو استعارة حاسوبية تمثل استعارة مضللة تماماً عن التواصل الإنساني، كما تفعل الاستعارة الكهربائية التي تعتبر التواصل الإنساني مجرد تبادل للرسائل مشابه لذاك الذي يحصل في إرسال البرقيات.

تحتاج هندسة اللغة المهتمة بالتواصل الإنساني (وليس للمتخاطبين الفضائيين، أو الحاسوب أو متحدثين ملائكيين) لأن تعتني بعوامل مثل الإبداعية المتغيرة القواعد، والتكيف، والتأقلم ومخاطبة المعاني والتراكيب والإشارية الاجتماعية. وبعبارة أخرى، إن كان على هندسة اللغة أن تحقق بعض النجاح، عليها أن تلتفت إلى الوظائف غير المعرفية وتطور اللغة. وربما مثل فهم كيفية تطور اللغات الهجينة أو الخليطة النقطة الأكثر أملاً في نقطة البدء لتنفيذ مثل هذه المهمة.

لقد تمثل وازع تكرر في هندسة اللغة صراحة أو ضمناً بما وصفه هارس(1981:٩ وما بعدها) بالمكونات الأساسية لخرافة اللغة الغربية: المغالطة الغيبية والمغالطة التقريرية (التحديدية). وتعود جذور كل من هاتين المغالطتين إلى أرسطو. تشير الأولى إلى وجهة النظر التي تقول "إن المعرفة اللغوية هي أساساً مسألة معرفة أيّ كلمات تعني أيّ أفكار" (ص: ٩)، أما الثانية فتعني:" أن كل ما نحتاجه هو أن يوافق الناس على مجموعة ثابتة من العلاقات القائمة بين الأفكار والرموز النطقية لكي يزودوا أنفسهم بنظام فعال لتبادل الأفكار"(ص ١٠). ووفق وجهة نظر بديلة، فإن الطبيعة لم تهب الناس كلهم المجموعة نفسها من المفاهيم، بل عوضاً عن ذلك، فإن مثل تلك الحقائق التي يفهمونها قد أوجدها جزئياً الرمز الكلامي الذي يستخدمونه. ووفق وجهة النظر هذه، فسينتج عن استبدال التنوع اللغوي الموجود حالياً بلغة عالمية واحدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقليص خطير في عدد وجهات نظر العالم البديلة والفلسفات أيضاً. وأكثر من هذا وذاك، فمن المحتمل أن يتعرض أكثر الأهداف تواضعاً المتمثل في خلق لغة مساعدة، يمكن أن يستخدمها كافة المتكلمين من كافة اللغات وبسهولة متساوية ، لصعوبات جمة. ولذلك يُنصح مهندسو هندسة اللغة أن يعوا محدودية نشاطاتهم.

EFERENCES/المراجع

Bailey, Charles-James, N. (1975) 'the New Linguistics Framework and Language Planning', *Linguistics*, 158-7.

Baumann, Adelbert (1916) *Weltdeutsch*, Huber, Munich.

Bausani, Alessandro (1970) *Geheim- und Universalsprachen*, Kohlhammer, Stuttgart.

Berlin, Brent and Kay, Paul (1969) *Basic Color Terms*: Their Universality and Evolution, University of California Press, Berkeley.

Bickerton, Derek (1981) *Roots of Language*, Karoma Press, Ann Arbor.

Bickerton, Derek (1984) 'The Language bioprogram hypothesis', *The Behavioural and Brain Sciences*, 7,2:173-88.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Blanke, Detlef (1985) *Internationale Plansprachen: Eine Einfuhrung*, Akademie Verlag, Berlin.

Bliss, Charles K. (1965) *Semantography: a simple of 100 logical pictorial Symbols*, 2nd enl. ed., Semantography (Blissymbolics) Publications, Sydney, (orig. publ. 1949).

Bodmer, Frederick (1943) *The loom of Language*, Allen & Unwin, London.

Bloinger, Dwight (1986) *Language- The Loaded Weapon*, Longman, London.

Bolton, W.F. (1984) *The Language of 1984*, Balckwell, Oxford.

Borges, Jorge Luis (1970) *Labyrinths: Selected Stories and Other Writings* trans. from Spanish, ed., Yates, D. A. and Irby, J. E., Penguin, Harmondsworth.

Charteris, Leslie (1972) *Palcneo: a universal sign language*, Interlit A. G., London.

Cobarrubias, J. and Fishman, J. A. (eds) (1983) *Progress in Language Planning*, Mouton, The Hague.

Couturat, Louis (1901) *La logique de Leibniz d'apres des documents inedits*, F. Alcan, Paris.

Couturat, Louis (1903) *Opuscules et fragments inedits de Leibniz*, Reprinted Olms, Hildesheim.

Couturat, Louis and Leopold Leau (1903) *Histoire de la langue universelle*, Hachette, Paris

Dalgarno, George (1661) *Ars signorum, vulgo character universalis et lingua philosophica*.. , London (Facsimile ed., Scolar Press, Menston 1968).

Descartes, Rene (1629) *Lettre a Mersenne*, 20 Mersenne, 20 November 1629, in *Ocuvres et Lettres*: textes presentes par A. Bridoux, Pleiade, Paris, ed. 1935.

Diehl, Randy, L. and Kolodzey, Katherine, (1981) 'Spake: A Private Language', *Language* , 57:2:406-24.

Freudenthal, Hans, (1960) *Lincos: design of a language for cosmic intercourse*, North Holland, Amsterdam.

Freudenthal, H. (1974) 'Cosmic Language', in *Current Trends in Linguistics*, 12: 1019-41.

Frodsham, John, D. (1964) '*Chinese and primitive language*: John Webb's contribution to 17th century sinology', *Asian Studies*, 2/3: 389-408.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Hale, Kenneth A. (1971) 'A note on a Walbiri tradition of antonymy', in Steinberg, D. D. and Jakobovits, L. A. (eds) *Semantics*, Cambridge University Press, Cambridge: 472-82.

Halliday, Michael A. K. (1974) *Explorations in the functions of language*, Edward Arnold, London.

Harris, Roy (1981) *The Language Myth*, Duckworth, London.

Haugen, Einar (1966) *Linguistics and language planning*, in Bright, W. (ed.) Sociolinguistics, Mouton, The Hague: 50-71.

Haugen, Einar (1972) *The Ecology of Language*, Stanford University Press, Stanford.

Henderson, George J. (1888) *Lingua: An International Language*, Tribune & Co, London.

Jacob, H. (1943) *Otto Jesperson: His work for an International Auxiliary Language*, Ido Society of Great Britain, Loughton,

Jacob, H. (1948) *On Language Making*, Dennis Dobson Ltd. London.

Jones, Leslie (1973) *Eurolengo: The language for Europe*, Oriel Press, London.

Kittredge, Richard and Lehrberger, John (eds) (1982) *Sublanguage - Studies in Language in Semantic Domains*, De Gruyter, Berlin.

Knowlson, James (1975) *Universal Language Schemes in England and France 1600-1800*, University of Toronto Press, Toronto,

Krueger, John R. (1967) 'Nabokov's Zemblan: A constructed Language of Fiction', *Linguistics*, 31:44-9.

Large, A. (1987) *The artificial language movement*, Blackwell, Oxford.

Laycock, Donald C. (1972) 'Towards a typology of ludlings, or play-languages', *Linguistics Communications*, 6:61-114.

Laycock, Donald C. (1982a) 'Metathesis in Austronesian: Ririo and other cases', Pacific Linguistics C-74:269-81.

Laycock, Donald C. (1982b) 'Melanesian Linguistic diversity: a Melanesian choice?', in May, R. J. and Nelson , Hank, (eds) *Melanesia: Beyond Diversity*, Australian National University, Canberra: 33-8.

Laycock, Donald C. (1987) 'The Languages of Utopia', in Kamenka, Eugene, (ed.) *Utopias: papers from the annual symposium of the Australian Academy of the Humanities*, Oxford University Press, Melbourne: 144-78.

Le page, R. B. (ed.) (1986) *Abstracts of proceedings of the Workshop of the International Group for the study of Language Standardization and the*

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Vernacularization of Literacy, Dept. of Language, University of York, York.

Moskovich, W. (1982) *What is Sublanguage*? *The notion of Sublanguages in Modern Soviet Linguistics*, in Kittredge and Lehrberger (eds)1982:189-205.

Mayerthaler, Willi (1981) *Morphologische Naturlichkeit*, Niemeyer', Tubingen.

Pei, Mario A. (1974) 'Artificial Languages: International (Auxiliary)', in *Current Trends in Linguistics* 12: 999-1017.

Ronai, Paulo (1969) *Der Kampf gegen Babel*. Ehrenwirth, Munich.

Rosario, Gonsalodel (1968) 'A modernization -standardization plan for the Austronesia-derived languages of South East Asia', in *Asian Studies*, 6/1:1-18.

Rubin, Joan and Jernudd, Bjorn H. (eds) (1971) *Can Languages be planned*? University Press of Hawaii, Honolulu.

Samarin, William J. (1976) *Languages in Religious Practice*, Centre for Applied Linguistics, Georgetown.

Schleyer, Johann Martin, (1885) *Worterbuch der Universalsprache Volapuk*, Verlag des Zentralburos der Weltsprache, Konstanz.

Schuchardt, Hugo (1928) *Hugo-Schuchardt-Brevier* (edited by Leo Spitzer), Niemeyer, Halle.

Schworer, E. (1916) *Kolonial -Deutsch: Vorschlage einer kunftigen deutschen Kolonialsprache in systematisch -grammatikalischer Darstellung und Begrundung*, Huber, Munich.

Slaughter, M.M. (1982) *Universal Languages and Scientific Taxonomy in the 17th century*, Cambridge University Press, Cambridge.

Swedenborg, Emanuel (1758) *De caelo et ejus mirabilibus et de inferno, ex auditis et visis*, John Lewis, London.

Swedenborg, Emanuel (1958) *Heaven and its Wonders and Hell from Things Heard and Seen*, trans. from Latin. New ed., D.H. Hartley, The Swedenborg Society, London.

Swift, Jonathan (1726) *Travels into several remote nations of the world*, Benj. Motte, London.

Tauli, Valter (1968) *Introduction to A Theory of Language Planning*, Almquist & Wiksells, Uppsala.

Tyssot de Patot, Simon (1710) *Voyages et aventures de Jacques Masse*, J. L'Aveugle, Bordeaux.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Urquhart, Thomas (1653) *Logopandecteision, or An Introduction to the Universal Language*, Giles Calvert, London.

Vestergaard, T. and Schroder K. (1985) *The Language of Advertising*, Blackwell, Oxford.

Wells, J. C. (1969) *Esperanto Dictionary*, Teach Yourself Books, London.

Weilgart, John W. (1968) *aUI- the language of space*, Cosmic Communication Company, Decorah (lowa).

Wurm, Stephen A. (ed.) (1977) *New Guinea Area Languages and Language Study Vol. 3*, Pacific Linguistics C-40, Canberra.

Wurm, S. A., Muhlhausler, P. and Laycock, D.C. (1977) *Language Planning and Engineering in Papua New Guinea*, in Wurm (ed.) 1977:1151-78.

Yaguello, Marina (1984) *Les Fous du Language*, Seuil, Paris.

FURTHER READING

The items in the above list marked with an asterisk will be found especially helpful for readers keen to probe these topics further.

For computer languages , see Chapter 18, section 1.3, above.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com